



وقفات

تربوية مع الإمام الحديث النبوية

مقرر مادة الحديث بكليتي: التربية والدراسات الإنسانية

ألفه وراجعاه

نخبة من أعضاء هيئة التدريس

بجامعه الأزهر

الطبعة الأولى

العام الجامعي

٢٠١٨ - ٢٠١٩ م

وقفات

تربوية مع الإمام الحافظ النبوية

ألفه (وفق الترتيب الأبجدي)

أ.د/ إبراهيم علي السيد أ.د نبيل محمد عبده زاهر
أ.د ياسر محمد شحاتة أ.د.م/ ممدوح محمد أحمد

راجعته وقدم له

أ.د/ جلال الدين إسماعيل حسن عجوة

أستاذ الحديث وعلومه

كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، بالقاهرة

وعضو هيئة كبار العلماء

فهرس الموضوعات

المحتويات

٣	فهرس الموضوعات
٨	مقدمة
١٣	المبحث الأول
١٣	تعريف السنة
١٣	السنة لغةً:
١٣	السنة اصطلاحاً:
١٦	المبحث الثاني
١٦	أهمية السنة النبوية
٢١	الحديث الأول
٢١	تعلم الدين
٢٢	التعريف براوي الحديث:
٢٦	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
٢٦	المعنى العام للحديث:
٤٠	الحديث الثاني
٤٠	المرأة والعلم والتعليم
٤٠	التعريف براوي الحديث:
٤١	المعنى العام للحديث
٤٢	المضامين التربوية في الحديث:
٤٥	الحديث الثالث
٤٥	التربية بالحوار والفهم في العلم
٤٥	التعريف براوي الحديث:
٤٦	المعنى العام للحديث:
٤٧	المضامين التربوية في الحديث:
٥٠	ما يستفاد من هذا الحديث:

٥٢.....	الحديث الرابع
٥٢.....	التربية بالتوجيه
٥٢.....	التعريف براوي الحديث:
٥٢.....	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
٥٣.....	المعنى العام للحديث:
٥٣.....	المضامين التربوية في الحديث:
٥٧.....	الحديث الخامس
٥٧.....	وجوب الإخلاص لله تعالى
٥٧.....	التعريف براوي الحديث:
٦٠.....	منزلة هذا الحديث:
٦٠.....	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
٦١.....	المعنى العام للحديث:
٦٣.....	منزلة النية:
٦٣.....	فقه الحديث:
٦٤.....	ما يستفاد من هذا الحديث:
٦٦.....	الحديث السادس
٦٦.....	فضل طلب العلم
٦٦.....	التعريف براوي الحديث:
٦٩.....	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
٧٠.....	المعنى العام للحديث:
٧٣.....	ما يستفاد من الحديث :
٧٥.....	الحديث السابع
٧٥.....	الحرص على العلم
٧٥.....	التعريف براوي الحديث:
٧٥.....	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
٧٦.....	المعنى العام للحديث:
٧٨.....	ما يستفاد من هذا الحديث:

٧٩	الحديث الثامن
٧٩	تكرار الكلام ثلاثا عند الحاجة إلى ذلك
٧٩	التعريف براوي الحديث:
٧٩	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
٨١	المعنى العام للحديث:
٨٤	فقه الحديث:
٨٩	ما يستفاد من هذا الحديث:
٩٠	الحديث التاسع
٩٠	الإسلام دين الوسطية والاعتدال
٩٠	التعريف براوي الحديث:
٩٣	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
٩٣	المعنى العام للحديث:
٩٥	التوفيق بين روايتين:
٩٥	فقه الحديث:
٩٧	ما يستفاد من الحديث:
٩٩	الحديث العاشر
٩٩	التدرج في التعليم
٩٩	التعريف براوي الحديث:
١٠٠	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
١٠١	فقه الحديث:
١٠٤	المعنى العام للحديث:
١٠٥	ما يستفاد من الحديث:
١٠٦	الحديث الحادي عشر
١٠٦	التربية على حسن الخلق
١٠٦	التعريف براوي الحديث:
١٠٧	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
١٠٨	فقه الحديث:

١١٢.....	ما يستفاد من الحديث :
١١٣.....	الحديث الثاني عشر
١١٣.....	أهمية ضرب الأمثال
١١٣.....	التعريف براوي الحديث:
١١٤.....	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
١١٤.....	المعنى العام للحديث:
١١٧.....	ما يستفاد من الحديث :
١١٨.....	الحديث الثالث عشر
١١٨.....	تبشير من فعل خيرا والثناء عليه
١١٨.....	التعريف براوي الحديث:
١١٩.....	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
١٢٠.....	المعنى العام للحديث:
١٢١.....	فقه الحديث:
١٢٣.....	ما يستفاد من الحديث:
١٢٥.....	الحديث الرابع عشر
١٢٥.....	تبشير من فعل خيرا والثناء عليه
١٢٥.....	التعريف براوي الحديث:
١٢٦.....	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
١٢٧.....	المعنى العام للحديث:
١٢٨.....	فقه الحديث:
١٢٩.....	ما يستفاد من الحديث:
١٣٠.....	الحديث الخامس عشر
١٣٠.....	التربية على الاستعفاف والاستغناء عن الناس بالعمل
١٣٠.....	التعريف براوي الحديث:
١٣٠.....	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
١٣١.....	المعنى العام للحديث:
١٣٢.....	فقه الحديث:

١٣٢	ما يستفاد من الحديث:
١٣٣	الحديث السادس عشر
١٣٣	التعريف براوي الحديث:
١٣٤	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
١٣٦	المعنى العام للحديث:
١٣٧	فقه الحديث:
١٣٨	ما يستفاد من الحديث:
١٣٩	الحديث السابع عشر
١٣٩	الرفق بالمتعلم
١٣٩	التعريف براوي الحديث:
١٣٩	معاني الكلمات الواردة في الحديث:
١٤٠	المعنى العام للحديث:
١٤١	فقه الحديث:
١٤٣	ما يستفاد من الحديث:
١٤٤	الحديث الثامن عشر
١٤٤	تربية الأطفال على طاعة الله والصلاة
١٤٤	التعريف بالراوي الأعلى للحديث:
١٤٦	(معاني المفردات)
١٤٦	(المعنى العام للحديث)
١٤٩	(فقه الحديث)
١٥٥	رؤية الجامعة
١٥٥	رسالة الجامعة
١٥٥	قيمنا الحاكمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، صل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فقد اصطنع الله محمدًا صلى الله عليه وسلم لنفسه، ورباه فأحسن

تربيته، وكمل خلقه حتى قال فيه - وهو أصدق القائلين: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ

خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤). ثم بعثه بشيرًا ونذيرًا ومعلمًا وهاديًا فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) وداعيًا إلى الله

بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦) (٢)، وأمره أن يبلغ ما أنزل إليه فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ

وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٧) (٣)؛ فبلغ

صلى الله عليه وسلم ما أمره الله بتبليغه، وشهد الله تعالى له بذلك فقال

تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ

(١) سورة القلم آية ٤.

(٢) سورة الأحزاب ٤٥-٤٦.

(٣) سورة المائدة ٦٧.

الْمَوَى ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ﴿١﴾، كما أمره سبحانه وتعالى أن يبين للناس ما خفي عليهم، وأن يشرح لهم طرق التنفيذ؛ فقال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٢﴾. وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٣﴾.

هكذا أعد الله رسوله للقيام بأعباء رسالته، ثم أمر الناس بطاعته فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٤﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾ ﴿٥﴾، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

(١) الشورى ٥٢-٥٣

(٢) النحل ٤٤.

(٣) النحل ٦٤.

(٤) الأنفال ٢٠.

(٥) الحشر ٧.

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا فَضَّيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴿٦٥﴾^(١)، وقال تعالى:
﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢)
﴿٦٦﴾.

ولا خفاء بعد هذا: أن كتاب الله هو أصل الدين الإسلامي الحنيف، وأن
سنة نبيه ﷺ قولية كانت أو فعلية، صفة كانت أو تقريرية، هي الموضحة
لأحكامه، والمفصلة لمجمله، والهادية إلى طرق تطبيقه.

فهما صنوان لا يفترقان، ومنبعان للشرعية متعاضدان، ولا شبهة في
أن طاعة الرسول ﷺ طاعة لله، ومخالفة أمره معصية لله تعالى، ومن عمل
بالقرآن على غير المنهج الذي انتهجه الرسول ﷺ والطريقة التي عمل بها
وطبق عليها أمر الله، لا يكون عاملاً بالقرآن.

وعلى ما سبق فقد عرف علماء الحديث السنة النبوية والحديث
الشريف بتعريف جامع مانع فقالوا في تعريفه: "ما أضيف إلى النبي ﷺ من
قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية، حقيقة أو حكماً حتى
الحركات والسكنات في اليقظة والنمائم قبل البعثة وبعدها، وما أضيف إلى
الصحابي والتابعي".

وهذا هو التعريف الجامع عند أهل الحديث ليشمل ما جاء قبل البعثة
من تحنثه في غار حراء ويشمل سيرته الشريفة فهي تطبيق عملي لكل ما
أمره به ربه سبحانه وتعالى، ويشمل أيضاً المرفوع والموقوف والمقطوع فكله
سنة، وكلها حديث.

(٤) النساء ٦٥ .

(٢) النور ٦٣ .

يقول تعالى: ﴿وَالسَّيْقُوتِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

وقال ﷺ: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"

وقال ﷺ: " بلغوا عني ولو آية وحدثوا عني ولا تكذبوا علي".

وقال ﷺ: " ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من

سامع

وقال ﷺ: "تضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه كما سمعه فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه".

ومن هذا المنطلق، ومن منطلق شمول حديث النبي ﷺ جميع مناحي الحياة وصلاحها وإصلاحها كانت استجابة جامعة الأزهر المباركة في بلاغ جميع طلاب الكليات العملية بسنة النبي ﷺ وتدریس الحديث الشريف. واختيار الأحاديث النبوية الصحيحة والمعمول بها من لدن سيدنا رسول الله ﷺ وإلى يومنا هذا، كل كلية بما يخصها من أحاديث وردت عن رسول الله ﷺ. فكان لكليات المجموعة الطبية والعلوم ما يناسبها من أحاديث من الطب النبوي الوارد في الصحيحين وما

(١) التوبة ١٠٠.

اشتملت عليه من بيان أنواع العلاج وطب الأسنان، والجراحة والعيون والأنف والأذن والحنجرة وسلامة الجسد صحيًا ونفسيًا وبدنيًا.

وهكذا جاءت أحاديث التجارات والإدارة والبيوع وغيرها، والمساقاة والمزراعة والتشجير والفاكهة وأمره ﷺ في كل ذلك ونتائجها وزكاتها.

وكذلك حثه ﷺ في بناء الإنسان جسديًا فكانت أحاديث الفروسية والرمي والسباحة وغيرها مما يتعلق بالتربية الرياضية. ثم ما جاء في البناء وتشبيده وزخرفته وصناعة السلاح بأسلوب هندسي وبناء المساجد والقبور وصناعة الأخشاب والمنابر كما أشار رسول الله ﷺ ونفذه وطبقه أصحابه الأجلاء سواء شاركهم المصطفى ﷺ أو أقامه الصحابة بأنفسهم وأقرهم عليه المصطفى ﷺ.

ولقد قام نخبة طيبة من شراح هذه الأحاديث النبوية بشرح موجز استوفى كل شارح ما جاء في كل حديث، ببيان مفرداته وغريبه ومعانيه وما يستفاد منه بأسلوب علمي دقيق منزلا كل ما ورد من نتائج على الواقع المعاصر ليستفيد الجميع وليعمل الكل بكل ما ورد.

اسأل الله سبحانه وتعالى أن يمد كل طالب علم من طلابنا وكذلك أساتذتنا وشيوخنا بمدد من عنده، لإصلاح شأننا ومجتمعاتنا، إنه نعم المولى ونعم النصير

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أ.د. جلال الدين إسماعيل حسن عجوة

أستاذ الحديث وعلومه

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر - القاهرة

ومقرر اللجنة العلمية الدائمة لشعبة الحديث

المبحث الأول

تعريف السنة

السنة لغةً:

السيرة المستمرة والطريقة المتبعة سواء كانت حسنة أو سيئة، وخصها بعض أهل اللغة بالطريقة المستقيمة الحسنة دون غيرها، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة.

السنة اصطلاحاً:

يختلف تعريف السنة في الاصطلاح تبعاً لاختلاف أغراض العلماء من بحوثهم حسب تخصصاتهم المختلفة، وفيما يلي تعريفها عند المحدثين، والأصوليين، والفقهاء.

السنة في اصطلاح المحدثين:

للمحدثين تعريفات متعددة للسنة، من هذه التعريفات:

١. هي أقواله ﷺ وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخلقية والخلقية، وسائر أخباره سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها.

هذا هو المشهور عند جمهور المحدثين، وكأن السنة عندهم خاصة بالحديث المرفوع فقط، أما الموقوف والمقطوع فلا.

السنة في اصطلاح الأصوليين:

عرف الأصوليون السنة بأنها: أقوال النبي ﷺ غير القرآن، وأفعاله وتقريراته التي يمكن أن تكون دليلاً لحكم شرعي.

كأن ما صدر عنه من الأقوال والأفعال والتقريرات التي تعد من خصائصه ﷺ ليست داخلة في تعريف السنة عند الأصوليين، وكذلك صفاته ﷺ؛ لأنها لا تفيد حكماً شرعياً يتعبد الناس به.

لذلك ترى الأصوليين غالباً ما يغفلون الكلام عن الأمور التي هي من

خصائصه ﷺ، ومن تكلم منهم عنها فمن باب بيان أنها ليست ملزمة للناس.
السنة في اصطلاح الفقهاء:

١. هي كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن مفروضًا ولا واجبًا مثل تثليث الوضوء، ومثل المضمضة، والاستنشاق عند بعضهم، ومثل تقديم اليمنى على اليسرى، ومثل الركعتين قبل فرض الصبح ونحو ذلك.

٢. وقد يطلقها الفقهاء ويعنون بها، ما يقابل البدعة كقولهم فيمن طلق زوجته في غير حيض وفي غير طهر التقيا فيه - هذا طلاق سني - في مقابلة الطلاق البدعي، وهو الذي يحدث في طهر التقيا فيه، أو يحدث في حيض، حيث يأبى الإسلام بنظامه العام أن يشق على المطلقات بإطالة العدة.

ومرد هذا الاختلاف في الاصطلاح إلى اختلاف الأغراض التي تعنى بها كل فئة من أهل العلم.

فعلماء الحديث: إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق، وشمائل وأخبار، وأقوال وأفعال، سواء أثبت ذلك حكمًا شرعيًا أم لا.

وعلماء الأصول: إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة، فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها.

وعلماء الفقه: إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبًا أو حرمةً أو إباحةً، أو غير ذلك^(١).

وإذ قد عرفنا السنة فنود الإشارة إلى وجود مصطلحات أخرى تتردد كثيرا

(٤) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص: ٤٧-٤٩.

في كتب أهل العلم، وتتردد كثير في المحاضرات والندوات والخطب وربما في الكتب الشرعية المتعددة ، كمصطلح الحديث ، والخبر ، والأثر ، فهل هذه المصطلحات مرادفة للسنة ، أم لها معنى آخر .

أما الحديث : فهو عند كثير من العلماء مرادف للسنة فيشمل أقواله - صلى الله عليه وسلم - سوى القرآن، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته خاصة، وعليه يكون مقصوراً على المرفوع فقط.

وأما الخبر : فقليل إنه مرادف للسنة والحديث ، وقيل هو : ما جاء عن غير النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين من هذه الأمة أو غيرها من الأمم السابقة، كأن الخبر في هذا الحال خاص بالتاريخ، وليس من الألفاظ المستعملة في اصطلاح المحدثين.

ومن هنا شاع إطلاق "الإخباري" على المشتغل بالتواريخ، بينما شاع إطلاق اسم "المحدث" على المشتغل بالسنة النبوية.

وأما الأثر : فقليل إنه مرادف للسنة والحديث والخبر ، وقال فقهاء خراسان : يطلق الأثر على أقوال الصحابة، والتابعين وأفعالهم فقط.

وعليه يكون مقصوراً على الموقوف - أي ما جاء عن الصحابي - والمقطوع - أي ما جاء عن التابعين - فقط، ويكون أخص من السنة.

المبحث الثاني

أهمية السنة النبوية

إن السنة بما تضمنته من أقوال وأفعال وتقريرات وصفات للنبي ﷺ ترسم "المنهاج التفصيلي" للحياة الإسلامية: حياة الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المسلمة، في الدولة المسلمة.

وإذا كان القرآن الكريم يضع القواعد العامة، والمبادئ الكلية، ويرسم الإطار العام، ويحدد بعض النماذج لأحكام جزئية لا بدّ منها، فإن السنة تفصّل ما أجمله القرآن الكريم، وتبيّن ما أبهمه، وتضع الصور التطبيقية لتوجيهاته.

ومن هنا نجد في السنة تفصيلات الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

ونجد في السنة تفصيلات العبادات الشعائرية التي تمثّل جوهر التدين العملي كالعبادات الأربع: الصلاة والزكاة والصيام والحج، سواء ما كان منها فرضاً لازماً كالصلوات الخمس اليومية، وصلاة الجمعة من كل أسبوع، والزكاة المفروضة كل حول أو كل حصاد، وصوم رمضان من كل عام، وحج البيت مرةً في العمر لمن استطاع إليه سبيلاً... وما كان منها من باب التطوع..

ونجد في السنة توجيهات مفصلة للأخلاق الإسلامية، وذلك كالصدق والأمانة، والسخاء والشجاعة، والوفاء والحياء، والرفق والرحمة، والعدل والإحسان، والتواضع والصبر، والحلم عند الغضب، والعفو عند المقدرة، وبرّ الوالدين، وصلة الرحم، وإكرام الجار، ورعاية اليتيم، والمسكين، وابن السبيل.

كما تشمل " الأخلاق الربانية" كمحبة الله تعالى، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والإخلاص له، والرجاء في رحمته، ...إلى غير ذلك من الأخلاق .

ونجد في السنة كذلك تفصيلات الآداب الإسلامية، مثل أدب الأكل والشرب، والجلوس والمشي، والتحية والسلام، والزيارة والاستئذان، والنوم واليقظة، واللباس والزينة، والكلام والصمت، والاجتماع والافتراق، إلى غير ذلك من الآداب الإسلامية.

فالمسلم عندما يأكل أو يشرب يُسمّي الله تعالى، ويأكل بيمينه، ويشرب بيمينه، ويأكل مما يليه، ويقتصد في أكله، ويحمد الله إذا فرغ من طعامه.

ونجد في السنة كذلك تفصيلات لتكوين الحياة الأسرية على أساس مكين، فنجد في السنة عنايةً بالغةً بحسن اختيار الزوج أو الزوجة، والخطبة وأحكامها، والزواج وآدابه، وحقوق الزوجة على زوجها، والزوج على زوجته، وحق الأولاد على والديهم، وحق الوالدين على أولادهم، وحق ذوي القربى من المحارم والعصبات، وأحكام الطلاق، والرجعة، والعدة، والإيلاء، والظهار، والنفقات،.. إلى غير ذلك مما يقوم عليه " فقه الأسرة".

ونجد في السنة كذلك أحكاماً وفيرةً تتعلق بالمعاملات والعلاقات الاجتماعية بين المسلمين بعضهم وبعض، مثل أحكام البيع والشراء، والهبة والقرض، والوقف والوصية، والحدود والقصاص والشهادات وغيرها، مما استند إليه فقه " المعاملات".

ومنها ما ينظم العلاقة بين الحكّام والمحكومين، في الشؤون الإدارية والمالية والقضائية وغيرها.

ومنها ما ينظم العلاقة بين الدولة الإسلامية وغيرها، ويرسم الإطار لعلاقة

المسلمين بغير المسلمين في السلم وفي الحرب، وغير ذلك مما حفلت به السنة النبوية المطهرة.

بل من السنة ما يتعلق بخدمة العلوم العصرية المختلفة ، فهناك أحاديث تتعلق بعلوم المختلفة ، الطب البشري ، طب الأسنان ، علوم الصيدلة، التمريض وغير ذلك ، وخير دليل على ذلك عناية علماء الأمة بالتأليف في الطب النبوي كأبي نعيم وابن القيم ، بل وتوجد أبواب للطب في بعض كتب السنة .

كذلك توجد أحاديث تخدم اللغات، والإعلام، والتربية، والزراعة ، بل والتربية الرياضية، والعلوم، والتجارة وسوف يقف الدارس في هذا الكتاب على بعض الأحاديث التي تخدم هذه العلوم.

وللإمام ابن القيم كلام نفيس رائع عن الهدى النبوي الذي جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول: " وَثُفِّي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، وما طائر يقلب جناحيه في السماء ، إلا ذكر للأمة منه علماً، وعلمهم كل شيء حتى آداب التخلي - أي آداب قضاء الحاجة - وآداب الجماع، والنوم والقيام والقعود، والأكل والشرب، والركوب والنزول، والسفر والإقامة، والصمت والكلام، والعزلة والخلطة، والغنى والفقر، والصحة والمرض، وجميع أحكام الحياة والموت، ووصف لهم العرش والكرسي، والملائكة والجن، والنار والجنة، ويوم القيامة وما فيه، حتى كأنه رأي عين، وعرفهم معبودهم وإلههم أتم تعريف، حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، وعرفهم الأنبياء وأممهم، وما جرى لهم، وما جرى عليهم، حتى كأنهم كانوا بينهم، وعرفهم من طرق الخير والشر، دقيقها وجليلها، ما لم يعرفه نبي لأمته قبله، وعرفهم - صلى الله عليه وسلم - من أحوال الموت، وما يكون بعده في البرزخ، وما يحصل فيه من النعيم

والعذاب، للروح والبدن، ما لم يُعرَف به نبي غيره، وكذلك عرّفهم من أدلة التوحيد، والنبوة، والمعاد، والردّ على جميع أهل الكفر والضلال، وعرّفهم من مكاييد الحروب، ولقاء العدو، وطرق النصر والظفر، ما لو علموه وعقلوه ورعوه حق رعايته، لم يقم لهم عدو أبداً - أي لم يثبت أمامهم عدو - وكذلك عرّفهم من مكاييد إبليس وطرقه التي يأتيتهم منها، وما يتحرزون به من مكروه وكيدة، وما يدفعون به شره عن أنفسهم ما لا مزيد عليه.

وبالجملة: فقد جاءهم بخير الدنيا والآخرة بأكمله، ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه، فشريعته كاملة، ما طرق العالم شريعة أكمل منها^(١).

وإذا كانت السنة النبوية بتلك السعة وهذا الشمول، فإن التمسك بها تمسك بالدين، سواء تعلق الأمر بالأهم منها أو المهم، لأن الكل داخل في مطلق الاتباع وشمول الاقتداء والتأسي.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ آل عمران: ٣١

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا

اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٣١﴾ الأحزاب: ٣١

يقول الغزالي: "اعلم أن مفتاح السعادة في اتباع السنة، والاقتداء برسول الله ﷺ في جميع مصادره وموارده، وحركاته وسكناته، حتى في هيئة أكله وقيامه، ونومه وكلامه، لست أقول ذلك في آدابه في العبادات فقط - لأنه لا وجه لإهمال السنن الواردة في غيرها - بل ذلك في جميع أمور العادات، فيه

(٥) إعلام الموقعين ٤ / ٣٧٥ .

يحصل الاتباع المطلق، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي

يُحِبِّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ آل عمران: ٣١

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحًا وَأَنذَارًا لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾

إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ [الحشر: ٧].

فهل - بعد ذلك - يليق بعاقل أن يتساهل في امتثال السنة، فيقول: هذا من قبيل العادات، فلا معنى للاتباع فيه؟.

وقفنا الله - عزَّ وجلَّ - إلى التمسك بالسنة، والعمل بالهدي النبوي الكريم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

﴿٣٢﴾ [البقرة: ٣٢].

الحديث الأول

تعلم الدين

عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال : يا محمد ! أخبرني عن الإسلام : فقال رسول الله ﷺ : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا).

قال صدقت !

قال فعجبنا له يسأله ويصدقه.

قال فأخبرني عن الإيمان .

قال : (أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر، وتؤمن

بالقدر خيره وشره)

قال صدقت !

قال فأخبرني عن الإحسان.

قال : (أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

قال فأخبرني عن الساعة.

قال : (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل).

قال فأخبرني عن أمارتها.

قال : (أن تلد الأمة ربثها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون

في البنيان).

قال: ثم انطلق ، فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر : (أتدري من السائل ؟)

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)^١.

التعريف براوي الحديث:

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، رضى الله عنه: هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح - بالمتناة تحت - ابن عبد الله بن قرط بن رزاح - براء مفتوحة ثم زاي ثم ألف ثم حاء مهملة - ابن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى المدنى، أمير المؤمنين، رضى الله عنه.

ولد عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشراف قريش. قالوا: وإليه كانت السفارة فى الجاهلية، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم، بعثوه سفيراً، أى رسولاً، ولما بعث رسول الله ﷺ كان عمر شديداً عليه وعلى المسلمين، ثم لطف الله تعالى به، فأسلم قديماً، فأسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، وقيل: بعد تسعة وثلاثون رجلاً وثلاث وعشرين امرأة، وقيل: بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة.

وعن سعيد بن المسيب، قال: أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشرة نسوة، فما هو إلا أن أسلم فظهر الإسلام بمكة.

^١ - أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١) وأبو داود، كتاب السنة ، باب فى القدر (٤٦٩٥) والترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء فى وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام (٢٦١٠) وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائي ، كتاب الإيمان وشرائعه، باب نعت الإسلام (٥٠٠٥) وابن ماجه ، المقدمة ، باب فى الإيمان (٦٣) وابن خزيمة فى صحيحه (١) وابن حبان فى صحيحه (الإحسان ح ١٦٨ ، ١٧٣) وأحمد فى مسند (٣٦٧).

وقال الزبير بن بكار: أسلم عمر بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بعد أربعين رجلاً أو نيف وأربعين من رجال ونساء، وكان النبي ﷺ قال: "اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام"، يعنى أبا جهل^١.

وخبر إسلامه مشهور، وأن سببه أن أخته فاطمة بنت الخطاب، رضى الله عنها، كانت زوجة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أحد العشرة، وكانت أسلمت هى وزوجها، فسمع عمر بذلك فقصدهما ليعاقبهما، فقرأ عليه القرآن، فأوقع الله تعالى فى قلبه الإسلام فأسلم، ثم جاء إلى النبي ﷺ وأصحابه وهم مختفون فى دار الصفاء، فأظهر إسلامه، فكبر المسلمون فرحاً بإسلامه، ثم خرج إلى مجامع قريش، فنادى بإسلامه، وضربه جماعة منهم وضاربهم، فأجاره خاله فكفوا عنه، ثم لم تطب نفس عمر حين رأى المسلمين يضربون وهو لا يضرب فى الله، فردَّ جواره، فكان يضاربهم ويضاربونه إلى أن أظهر الله تعالى الإسلام.

وعن ابن مسعود، قال: كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمامته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى فى البيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا.

وعن حذيفة، قال: لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل، لا يزداد إلا قربًا، فلما قُتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر، لا يزداد إلا بُعدًا.

^١ - أخرجه من حديث ابن عمر أحمد (٩٥/٢ ، رقم ٥٦٩٦) ، وعبد بن حميد (ص ٢٤٥ ، رقم ٧٥٩) ، والترمذى (٦١٧/٥ ، رقم ٣٦٨١) ، وقال : حسن صحيح غريب . وابن سعد (٢٦٧/٣) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣٦١/٥) ، وأخرجه من حديث ابن عباس الترمذى (٦١٨/٥ ، رقم ٣٦٨٣) وقال: غريب . والطبرانى (٢٥٥/١١) ، رقم ١١٦٥٧) ، وابن عساكر (٢٤/٤٤) .

قال محمد بن سعد: كان إسلام عمر، رضى الله عنه، فى السنة السادسة من النبوة. واتفقوا على تسميته بالفاروق، ورووا عن النبى ﷺ أنه قال: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وهو الفاروق، فَرَّقَ الله به بين الحق والباطل". وعن عائشة، قالت: سمى رسول الله ﷺ عمر الفاروق.

واتفقوا على أنه أَوَّلَ مَنْ سُمِّيَ أمير المؤمنين، وإنما كان يقال لأبى بكر، رضى الله عنه، خليفة رسول الله ﷺ.

وعمر، رضى الله عنه، أحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار رسول الله ﷺ وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم.

رُوى له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثاً، اتفق البخارى ومسلم منها على ستة وعشرين حديثاً، وانفرد البخارى بأربعة وثلاثين، ومسلم بأحد وعشرين.

روى عنه عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وأبو ذر، وعمر بن عتبة، وابنه عبد الله بن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأنس، وأبو موسى الأشعرى، وجابر بن عبد الله، وعمر بن العاص، وأبو لبابة بن عبد المنذر، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدرى، وأبو هريرة وغيرهم.

وأجمعوا على كثرة علمه، ووفور فهمه، وزهده، وتواضعه، ورفقه بالمسلمين، وإنصافه، ووقوفه مع الحق، وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ، وشدة متابعته له، واهتمامه بمصالح المسلمين، وإكرامهم أهل الفضل والخير، ومحاسنه أكثر من أن تستقصى.

قال ابن مسعود حين توفى عمر: ذهب بتسعة أعشار العلم. وأقوال السلف فى علمه مشهورة.

وهاجر إلى المدينة حين أراد النبي ﷺ الهجرة، فتقدم قدامه في جماعة. قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير، ثم ابن أم مكتوم، ثم عمر ابن الخطاب في عشرين راكبًا، فقلنا: ما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ قال: هو على أثرى، ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر، رضى الله عنه.

وشهد عمر، رضى الله عنه، مع رسول الله ﷺ بدرًا، وأُخذًا، والخندق، وبيعة الرضوان، وخيبر، والفتح، وحنينًا، والطائف، وتبوك، وسائر المشاهد، وكان شديدًا على الكفار والمنافقين، وهو الذى أشار بقتل أسارى بدر، ونزل القرآن على وفق قوله فى ذلك، وكان عمر ممن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد.

وأما زهده وتواضعه، فمن المشهورات التى استوى الناس فى العلم بها. قال طلحة ابن عبد الله: كان عمر أزهدنا فى الدنيا، وأرغبنا فى الآخرة. وقال سعد بن أبى وقاص: قد علمت بأى شىء فضلنا عمر، كان أزهدنا فى الدنيا. وكان عمر أول مَنْ دَوَّنَ الديوان للمسلمين، ورتب الناس على سابقتهم فى العطاء وفى الأذان والإكرام، فكان أهل بدر أول الناس دخولاً عليه، وكان على بن أبى طالب أولهم، وأثبت أسماءهم فى الديوان على قريبهم من رسول الله ﷺ، فبدأ ببني هاشم، وبني المطلب، ثم الأقرب فالأقرب.

وختم الله تعالى لعمر، ﷺ، بالشهادة، وكان يسالها، فطعنه العليج عدو الله أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة وهو قائم فى صلاة الصبح حين أحرم بالصلاة، طعنه بسكين مسمومة ذات طرفين، فضربه فى كتفه وخاصرته، وقيل: ضربه ست ضربات، فقال: الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام، وطعن العليج مع عمر ثلاثة عشر رجلاً توفى منهم سبعة، وعاش الباقيون، فطرح مسلم عليه برنسًا، فلما أحس العليج أنه مقتول قتل نفسه.

وشرب عمر، ﷺ لبنًا فخرج من جرحه، فلم هو والناس أنه لا يعيش، فأشاروا عليه بالوصية، فجعل الخلافة شورى بين عثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وقال: لا أعلم أحدًا أحق بها من هؤلاء الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وقال: يؤمر المسلمون أحد هؤلاء الستة^١.

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

- أماراتها : الأمانة هي العلامة.
- الأمة : أي الأنثى المملوكة .
- ربتها : يعني سيدتها .
- العالة : جمع عائل ، وهو الفقير ، من عال : أي افتقر.
- رعاء : جمع راع .
- الشاء : الضأن والماعز، والواحدة : شاة ، كالغنم ، واحداً غنمة.
- يتطالون في البنيان : يتباهون ويتفاخرون بارتفاعه.
- مليا : وقتاً غير قصير.

المعنى العام للحديث:

هذا الحديث الشريف هو أصل من أصول الإسلام يشتمل على جميع أركان الشريعة إجمالاً، فهو في السنة بمنزلة فاتحة الكتاب في القرآن ، ومن ثم يجب تقديمه على الكل ، إذ الجميع تفصيل لما أجمل فيه وبيان لما يندرج تحته.

قال القاضي عياض وغيره " هو حديث متفق على عظم موقعه ، وكثرة أحكامه، لاشتماله على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة ، من عقود

^١ - تهذيب الأسماء للنووي (رقم ٤٣٦) وانظر: الإصابة (٢/٥٧٣٦)، وأسد الغابة (٥٣/٤)، والاستيعاب (٢/٤٥٨).

الإيمان، وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال ، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه ، فهو جامع لطاعات الجوارح والقلب أصولاً وفروعاً ، حقيق بأن يسمى (أم السنة) كما سميت الفاتحة أم القرآن لتضمنها جمل معانيه ، ومن ثم قيل : لو لم يكن في السنة جميعها غيره لكان وافياً بأحكام الشريعة لاشتماله على جملتها مطابقة وعلى تفصيلها تضمناً، فهو جامع لها علماً ومعرفة وأدباً ولطفاً ، ومرجعاً من القرآن والسنة كل آية أو حديث تضمن ذكر الإسلام أو الإيمان أو الإحسان أو الإخلاص أو المراقبة أو نحو ذلك^١.

وخلاصة معنى الحديث الشريف : أن الصحابة رضوان الله عليهم وهم جلوس في حضرة رسول الله ﷺ يهتدون بهديه ، ويستضيئون بنوره ، ويستمعون إلى ما يتلو عليهم من كلام ربه جل شأنه، فوجئوا بقادم لا يعرفونه ولا تدل هيئته على أنه جاء من سفر بعيد ، فهو شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لم يعلق بشيء من ثيابه ولا من جسمه غبار ، ورأوه يجلس أمام الرسول الكريم جلسة من له معرفة به وصلة وثيقة بينه وبينه ، فهو يسند ركبتيه إلى ركبتيه، ويضع يديه على فخذه، ويوجه الخطاب إليه قائلاً: يا محمد أخبرني عن الإسلام ، أي عما يتحقق به من الأعمال التي من عملها يحكم عليه بأنه مسلم، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، فأخبره بأن الإسلام يتحقق لمن نطق بالشهادتين وأقام الصلاة محافظاً عليها مستوفياً لشرائطها وأركانها ، وأدى الزكاة المطلوبة منه في ماله وزروعه وثماره وماشيته وعروض تجارته ، وصام رمضان من غير تقصير فيه بدون عذر أو مرض ، وحج البيت الحرام إن استطاع إليه سبيلاً . ودهش الصحابة حين قال الزائر للرسول صدقت ، كأنما يسأله عن شيء معروف له ، مفهوم عنده.

^١ - فتح المبين (ص ٨٩) والفتوحات الربانية (٧ / ٣٨١) ، والمفهم (١ / ١٥٢) .

ثم انتقل من هذا السؤال إلى السؤال عن الإيمان ، أي عما يصير به الإنسان مؤمنا إيمانا منجيا من العذاب مستوجبا للثواب ، فأجابه الرسول الكريم بأن "الإيمان" هو التصديق القلبي بالله تعالى ، أي بوحديته وقدرته وإرادته واتصافه بجميع صفات الكمال ، وتنزهه عن جميع صفات النقص ، ولابد مع ذلك من الإيمان بالملائكة ، أي بوجودهم وكونهم كما وصفهم الله تعالى (أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء) ، وهم (عباد مكرمون) (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)، ولهم رسالات يؤدونها : كالنزل بالوحي على الأنبياء ، وكتابة الحسنات والسيئات لكل عبد مكلف ، وقبض الأرواح ، وسؤال الناس في القبور ، وفيهم خزنة الجنة وخزنة النار وهكذا ، ولابد أيضا من الإيمان بالكتب المنزل ، وبخاصة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . والإيمان بالرسول واجب ، وهم من البشر اختصهم الله برسالاته إلى الناس يدعونهم إلى توحيد الله تعالى وطاعته ، والاستقامة على دينه ، وقد ختموا بسيدنا محمد ﷺ ، وقال الله له: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة غافر / ٧٨] ، فلا بد من الإيمان بهم جميعا ، والله تعالى يقول: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَاْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة / ٢٨٥] ، ومما يتحقق به الإيمان التصديق باليوم الآخر وما فيه من حشر ونشر وثواب وعقاب ، يضاف إلى هذا كله الإيمان بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره : (قل كل من عند الله).

ثم انتقل السائل ، فسأل عن الإحسان ، فقال النبي ﷺ : (هو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، ومعنى هذا : أن تطيع الله تعالى وأنت مخلص في عبادته خاضع ذليل خاشع كأنك تعالينه ، فإن لم تكن في عبادته كأنك تراه بأن غفلت عن تلك المشاهدة ، فاستمر على إحسان العبادة ، واستحضر أنك بين يدي الله تعالى ، وأنه مطلع على شرك وعلاانيتك ليحصل لك أصل الكمال .

ثم سأل بعد ذلك عن الساعة ، فأجابه النبي ﷺ ، بأنه مثله في ذلك يستويان في عدم العلم بموعد قيامها ، لأن علمها عند الله ، فقال : أخبرني عن علاماتها ، فقال ﷺ : أن تلد الأمة ربتها ، أي سيدتها ، فهو إخبار بأحوال ستكون فيما بعد من اكثار الناس من التسري والتماس الأولاد فيمل ملكة أيمانهم ، فتلد الجارية ابنة حرة تكون لها ربة وسيدة ، ومن أمارات الساعة : أن تقبل الدنيا على كثير من الفقراء الذين لم يكن لهم عمل إلا رعي الإبل والغنم ، فكانوا لذلك حفاة الأقدام ، عليهم أسمال بالية لا تكاد توارى الأجسام ، فإذا بهم وقد كثرت أموالهم ، وعظمت ثروتهم ، ونسوا ما كانوا عليه ، فصاروا يتناولون في البنيان ، ويتخذون القصور العالية لسكناها والفخر بها .

فلما أتم السائل أسئلته بادر إلى الانصراف حتى اختفى عن الأبصار ، فقال النبي ﷺ لراوي الحديث ، وهو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أتدري من هذا الذي كان معنا يوجه الأسئلة التي سمعتها ، فقال عمر ، الله ورسوله أعلم . فقال عليه الصلاة والسلام : (إنما هو جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) ، وفي هذا دليل على ثبوت رؤية الصحابة رضوان الله عليهم لسيدنا جبريل في صورة إنسان حسن الهيئة ، غير أنهم لم يعرفوه إلا بعد انصرافه عنهم^١ .

مضامين الحديث التربوية :

^١ - انظر : أضواء من السنة ص ٢٣ - ٢٥ .

إن هذا الحديث حوار تعليمي بين متعلم ، وهو سيدنا جبريل عليه السلام، ومعلم، وهو سيدنا رسول الله ﷺ، ومادة علمية تتمثل في مضمون الحديث، وطريقة التعليم ، وتتمثل فيما كان وما دار بين المعلم والمتعلم، وهذه الأمور الأربعة تمثل العملية التعليمية، والمعلم والمتعلم عنصران هاما في العملية التعليمية، ويجب أن يراعي كل منهما الضوابط التربوية حتى تكون ثمرة العلم ثمرة طيبة يانعة، يستطيع المتعلم أن يوظفها في الميدان العملي، وفي هذا الحديث جوانب عديدة من ذلك نقف عليها في الآتي:

أولا : القارئ لرواية عمر ؓ هذه يجد أنه عني بذكر عدة أمور تتعلق بالوافد على رسول الله ﷺ وكل منها يلفت النظر:

فهو غريب عن بيئة المدينة، إذ قال الراوي (لا يعرفه منا أحد) وبالرغم من ذلك فهو شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ووصفه بذلك يزيد الأمر غرابة عند الرائي حين وفد وعند السامع للرواية بعد ذلك ، إذ إنسان ليس من أهل المدينة ويفد إليها في تلك البلاد الصحراوية المليئة بالغبار، ولا سبيل إلى السفر فيها حينئذ إلا السير على الأقدام أو الاستعانة بركوب دابة، ثم لا يظهر أي أثر للسفر على ملبسه أو على جسده لما يبعث على الدهشة ويدعو إلى الاستغراب.

ثم هو يتجه مباشرة إلى رسول الله ﷺ دون سؤال عنه فكأنه يعرف شخصه ، ويجلس إليه جلسة طالب العلم أمام معلمه ، إذ يسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ويضع كفيه على فخذيه علامة الاحترام والأدب ، ثم يسأل فإذا أجيب قال للرسول : صدقت ، وكما قال عمر - ؓ (فعجبنا له يسأله ويصدقه) إذ الشأن في السائل أنه يجهل ما يسأل عنه ، وتصديقه لما سمع يتنافى مع ما تعارف الناس عليه.

وبعد الانتهاء من إلقاء أسئلته وتلقي الإجابات من رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكلها مما يحرص عليه المسلمون - لماذا ينطلق إلى حال

سبيله، وليس ذلك بحال الغريب الذي غالبا ما يحتاج إلى معونة أو مساعدة.

كل ذلك يدل على شدة الملاحظة عند راوي الحديث " عمر بن الخطاب رضي الله عنه " ويدل على قوة الأثر الذي تركه الوافد في نفوس الحاضرين ومنهم عمر.

ولا شك أن غرابة الموقف وملابساته قد شد انتباههم إليه وجعلهم ينصتون إلى ما قال وما سمع ، وبذلك تحقق الهدف من وراء تلك الجلسة ، وكان الثمر المرجو من آثار هذا الحديث .

إن علماء النفس وعلماء التربية يركزون على وجوب عناية المعلم بما يسمى عندهم (وسائل الإيضاح) وهي كل ما يشد انتباه المتعلم إلى الموضوع المراد إلقاؤه إليه ، وبذلك يكون إدراكه له واضحا ، وبمقدار وضوح الإدراك يكون استمراره في ذاكرته ، ومن الوضوح والاستمرار تنمو أهميته في نفس المتعلم ويؤتي الثمرة التي يحاول المربي أن يصل إليها.

وكل ذلك كان موضع التطبيق العملي في هذا الحديث الذي جمع أهم ما يحرص المسلم على معرفته من أمور ، لأن مجموعها هو الدين كما عبر رسول الله ﷺ حين بين للصحابة - بعد أن انطلق السائل - أنه جبريل وأنه جاء ليعلمهم دينهم^١.

ثانيا : لقد ذكر سيدنا عمرؓ في هذه الرواية أن المتعلم - جبريل عليه السلام - كان شديد سواد الشعر ، وسواد الشعر يدل على الشباب والحيوية، ومرحلة الشباب تعتبر مرحلة النضوج الفكري والاكتمال الجسدي والصحي للإقبال على نهم العلم وسبر أغواره، فالشباب يكون متهيأ تهيؤا كاملا لتلقي العلم ولديه القدرة على الاستيعاب والتحليل والمناقشة مع معلمه، ومن ثم فعلى أمة الإسلام أن تعنى بشبابها تعليما وتربيا وتنقيفا، إذ أن الأمم

^١ - التربية في الإسلام ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

الواعية هي التي تعنى بتوجيه شبابها إلى العلم والتسابق فيه والحرص عليه ، حتى تنتفع بهم رجالا في كل ميادين الجد والعطاء^١.

ثالثا : نرى في هذا الحديث أن المتعلم (جبريل عليه السلام) حين قدم إلى المعلم (رسول الله ﷺ) لم يكن يعرفه أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، فكأن رسول الله ﷺ أراد أن يعلم أمته بأن المتعلم لا يشترط لينال العلم أن يكون معروفا لدى باقي المتعلمين ، فقد جلس المعلم الجديد بقرب الرسول ﷺ فلم يعنفه ﷺ ، وطرح أسئلته فأجابه الرسول ﷺ إجابة كافية شافية ، كل ذلك يدفعنا إلى أن الرسول ﷺ وهو معلم البشرية قد ساوى في اهتمامه بين جميع المتعلمين سواء كانوا قدامى أو جددا ، وهذه الصورة التربوية العظيمة تبني في نفوس المتعلمين الجدد ، الجد والاجتهاد والمثابرة ، كما أنها صورة تربوية عظيمة في إيجاد التجانس الفكري بين المعلم والمتعلم^٢.

خامسا : لقد جسد جبريل عليه السلام الصورة المثالية لطالب العلم ، ويتجلى ذلك في الآتي:

١- لبس الثياب البيضاء : فاللون الأبيض لون مرغوب لدى الجميع ، وكأنه يدل على الصفاء والنور ، كما أن الرسول ﷺ حث على لبس البياض من الملابس ، واللون الأبيض يعكس على الناظر إليه الهدوء والطمأنينة النفسية.

قال الأتيوبي: "في الحديث دليل على استحباب تحسين الثياب والهيئة ، والنظافة عند الدخول على العلماء والفضلاء والملوك ، فإن جبريل عليه السلام أتى معلما للناس ، كما أخبر النبي ﷺ ، فيكون تعليمه بحاله ومقاله

»^٣

١ - من أساليب الرسول في التربية ص ٩١ .

٢ - من أساليب الرسول في التربية ص ٥٨ .

٣ - البحر المحيط الثجاج ١ / ١٢٢ .

٢ - اختيار المتعلم الوقت المناسب للتعلم: فقد جاء في رابعة النهار، وهذا الوقت لم يكن وقت قيلولة أو طعام ، فلا يكون فكره مشغولا بالطعام ، ولا جسده محتاجا للراحة ، وهذا يدل على وفرة الاستعداد الذهني والعقلي والجسدي لدى المتعلم.

٣ - تحري الوقت المناسب للالتقاء بالمعلم: إن المتعلم ينبغي عليه أن يراعي المعلم في وقت طعامه وشرابه ، ولهذا نرى المتعلم (جبريل عليه السلام) لم يأت المعلم (رسول الله ﷺ) وقت الظهيرة - وقت قيلولته - ولم يأت في وقت الطعام ، أو عندما يكون بين أهله .

ولهذا يجب أن يستفيد الأخوة والأخوات في وقتنا الحاضر عندما يقومون بالاتصال بأهل العلم للفتوى ، يجب عليهم أن يختاروا الوقت المناسب للاتصال ، فالمفتون بشر يحتاجون للراحة ، فاختيار الوقت المناسب للمتعلم حتى يلتقي بالمعلم صورة تربوية تساهم مساهمة فعالة في استعداد عطاء المعلم للمتعلم.

٤ - اقتراب المتعلم من المعلم: لقد حرص المتعلم (جبريل عليه السلام) على الجلوس بقرب المعلم (رسول الله ﷺ) وهذا يدل على مصداقية المتعلم لتلقي العلم، والحرص على الاقتراب من المعلم له مميزات عظيمة، منها:

- أ - علو درجة انتباه المتعلم للمعلم .
- ب - اليقظة الفكرية وعدم تشتت العقل في أمور خارجة عن الدرس.
- ت - الاستماع الواضح لصوت المعلم .
- ث - عدم تداخل الأحرف المتشابهة مثل القاف والغين أو السين والصاد ، فالاقتراب يؤدي إلى الاستماع للأحرف بوضوح .
- ج - الاستعداد الدائم للإجابة على الأسئلة التي قد يطرحها المعلم.
- ح - يقظة حاستي السمع والبصر لدى المتعلم.

٥ - هيئة الجلوس : للجلوس الصحي أثر في القدرة على الاستيعاب، وقد جلس المتعلم (جبريل عليه السلام) الجلسة المثالية لطالب العلم كما قال العلماء ، وهذه الجلسة هي الجلسة الصحيحة للبدن والفكر ، وكثيرا منا من يجلس جلسة متعبة حيث يستقر الدم في مقدم قدمه ، فيتحول جزء من التفكير إلى موضع الألم ، لهذا يجب أن نربي طلاب العلم في المساجد على الجلسة التي جلسها (جبريل عليه السلام) .

قال الأتيوبي: " وإنما جلس هكذا ، ليتعلم الحاضرون جلوس السائل عند المسئول، لأن الجلوس على الركبة أقرب إلى التواضع والأدب ، واتصال ركبة السائل بركبة المسئول يكون أبلغ في استماع كل واحد من السائل والمسئول كلام صاحبه ، وأبلغ في حضور القلب ، وألزم للجواب ، لأن الجلوس على هذه الهيئة دليل على شدة حاجة السائل إلى السؤال ، وتعلق قلبه ، واهتمامه إلى استماع الجواب ، فإذا عرف المسئول هذا الحرص والاحتياج من السائل يلزم نفسه جوابه، ويبالغ في تفهيمه الجواب أكثر وأتم مما سأل السائل" ^١ .

٦ - ترتيب أسئلة المتعلم ترتيبا علميا : يجب على المتعلم أن تكون أسئلته مرتبة ترتيبا علميا وموضوعيا ، وجبريل عليه السلام أجاد في تنظيم وترتيب الأسئلة ، فقد سأل الأسئلة الآتية:

يا محمد : أخبرني عن الإسلام ؟

فأخبرني عن الإيمان ؟

فأخبرني عن الإحسان؟

فأخبرني عن الساعة؟

وهذا الترتيب يسمى ترتيب الانتقال التعليمي من الكل إلى الجزء .

^١ - البحر المحيط الشجاع ١ / ٨٦ .

٧ - الثاني في طرح الأسئلة وعدم طرحها جميعا دفعة واحدة: من يقرأ الحديث الشريف الذي معنا يلحظ أن المتعلم (جبريل عليه السلام) كان متأنيا في طرح الأسئلة، فكان يطرح السؤال ثم يسكت لانتظار الإجابة، وبعد ما يفرغ المعلم (رسول الله ﷺ) من الإجابة يطرح السؤال الثاني وهكذا .. وطرح الأسئلة سؤالاً سؤالاً يعطي المعلم الفرصة الكافية للتفكير والإجابة عن السؤال على أكمل وجه.

٨ - حسن الاستماع لدى المتعلم بعد أن يطرح سؤاله: يجب على المتعلم أن يتحلى بحسن الإصغاء بعد أن يطرح سؤاله ، فلا يقاطع المعلم في أثناء إجابته وهذا من حسن أدب مجلس العلم، حيث يوجد المتعلم في نفسه الوقار والهيبة للمعلم ، وهذا ما وجدناه في المتعلم (جبريل عليه السلام) عندما طرح أسئلته حيث كان ساكنا مستمعا بعد أن طرح السؤال الأول ، وأحسن الإنصات أيضا بعد طرحه السؤال الثاني ... وهكذا في باقي الأسئلة.

٩ - قصر سؤال المتعلم: عندما يقوم المتعلم بطرح السؤال يجب عليه أن يطرحه مختصرا ، ومن فوائد الأسئلة عندما تكون مختصرة :
أ - استيعاب المعلم استيعابا كاملا للسؤال.

ب - قصر السؤال يؤدي إلى الاستفادة من الوقت ، فلو كان السؤال طويلا لأخذ وقتا في طرحه ، وأخذ وقتا لاستيعاب المعلم للسؤال ، وفي دروس العلم كم نحن بحاجة إلى الوقت حتى تكتمل أهداف الدرس.

١٠ - وضوح سؤال المتعلم: بجانب قصر السؤال يجب أن يكون السؤال واضحا سليما من الكلمات الصعبة غير المفهومة ، وقد كانت أسئلة سيدنا جبريل عليه السلام قصيرة وواضحة فلا تحتاج لجهد لمعرفة مضمونها.

يا محمد : أخبرني عن الإسلام؟

فأخبرني عن الإيمان ؟

فأخبرني عن الإحسان؟

فأخبرني عن الساعة؟

إنها أسئلة قصيرة واضحة ، وجميعها ذات فائدة عظيمة ، ولهذا يجب أن نربي أطفالنا وتلامذتنا على التسامي والعلو في طرح الأسئلة ^١.

خامسا : حسن إنصات المعلم لسؤال المتعلم: لقد استمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سؤال المتعلم (جبريل عليه السلام) بإنصات حتى فرغ من السؤال ، ثم أجابه عليه الصلاة والسلام ، وبعد الإجابة طرح المتعلم سؤالا آخر ، فأنصت إليه المعلم (رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم أجابه وهكذا وحسن إنصات المعلم للمتعلم يثمر الجرأة الأدبية وتوارد الأفكار وعدم الارتباك لدى المتعلم ، فيستطيع أن يرتب أفكاره ترتيبا صحيحا ، ويستطيع أن يواصل العملية التعليمية دون فزع أو رهبة ، وهذا ما لاحظناه من حسن إنصات الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلعل ذلك كان دافعا في نفس المتعلم (جبريل عليه السلام) أن يستمر في طرح الأسئلة ^٢.

سادسا : أشار هذا الحديث العظيم إلى أن المعلم ينبغي أن يكون مفيدا وعمليا ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما سُئل عن الإسلام والإيمان والإحسان لم يكن جوابه مفاهيم تجريدية ، وتعريف تخضع لحدود منطقية صرفة لا معنى لها في واقع الناس ، بل فسر الإسلام بأركانه ، والإيمان بأصوله ، والإحسان بأساسه ، فمن حققها فقد حقق أصول الدين وأركانه.

وفي هذا تنبيه للمعلمين على ضرورة الاهتمام بالجانب العملي والتطبيقي في التعليم ، فلا يحشى رأس التلميذ بمفاهيم وحدود مجردة لا تبني شخصيته ، ولا تعدل سلوكه ، ولا تصحبه عند البحث عن حلول لمشكلاته ، ولهذا قال الشاطبي رحمه الله: " كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لا يدل على استحسانه دليل شرعي ، وأعني بالعمل عمل القلب وعمل

^١ - انظر : من أساليب الرسول في التربية ص ٨٧ - ٩١ .

^٢ - انظر : من أساليب الرسول في التربية ص ٨٦ .

الجوارح من حيث هو مطلوب شرعا^١ ". وقال أيضا: " العلم الذي هو العلم
المعتبر شرعا، أعني الذي مدح الله ورسوله على الإطلاق هو العلم الباعث
على العمل الذي لا يخلي صاحبه جاريا على هواه كيفما كان ، بل هو المقيد
لصاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه طوعا وكرها^٢ " .

وقال ابن خلدون رحمه الله : " واعلم أن الكمال عند الشارع في كل ما
كلف به إنما هو في هذا ، فما طلب اعتقاده فالكمال فيه هو العلم الثاني
الحاصل عن الاتصاف، وما طلب عمله من العبادات فالكمال فيها في
حصول الاتصاف والتحقق بها^٣ .

سابعاً : لقد أوضح هذا الحديث الأسس الشرعية التي تحقق حسن
التدين، والأصول التربوية التي تبني جوانب الشخصية لكل مسلم ،إن هذه
الأسس وتلك الأصول تكمن في الإسلام والإيمان والإحسان حيث شملت
الأنواع الثلاثة مصلحة الإنسان الدينية والدنيوية.

قال ابن القيم رحمه الله : " أكمل الناس لذة من جمع له بين لذة القلب
والروح ولذة البدن ، فهو يتناول لذاته المباحة على وجه لا ينقص حظه من
الدار الآخرة، ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة والأنس بربه^٤ .

فالإسلام جاء لمصلحة البدن، وأصوله في الشهادتين والصلاة والزكاة
والصوم والحج.

والإيمان جاء لمصلحة العقل، وأصوله في الإيمان بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره.

١ - الموافقات ١ / ٤٦ .

٢ - الموافقات ١ / ٦١ .

٣ - المقدمة ص ٤٦١ . وانظر : مجلة الإصلاح ١ / ٢٦٣ .

٤ - الفوائد ص ١٥٠ .

والإحسان جاء لمصلحة روحه، وأصله في إشباع الروح بالحب والخوف والرجاء^١.

ثامنا : بين هذا الحديث أن التعليم عملية تربوية تهدف إلى بناء الإنسان المسلم، فتبدأ بالأسس والأركان قبل الأسقف والجدران ، لأن ما استفاده الصحابة من مفهوم الإسلام والإيمان والإحسان في هذا الحديث هو الأركان لا كل الدين، وعليه فإن مراعاة بناء هذه الأصول وغرسها في الأطفال منذ الصغر حتى يشبوا عليها. وقد قوي البناء وقدر على حمل الأعباء- من مستلزمات التربية الإسلامية ومتطلباتها الأساسية^٢.

يقول ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله في مقدمة الرسالة: " وقد جاء أن يؤمروا بالصلاة لسبع سنين ويضربوا عليها لعشر ، ويفرق بينهم في المضاجع، فكذاك ينبغي أن يعلموا ما فرض الله على العباد من قول وعمل قبل بلوغهم ليأتي عليهم البلوغ وقد تمكن ذلك من قلوبهم وسكنت إليه أنفسهم ، وأنست بما يعملون به من ذلك جوارحهم، وقد فرض الله تعالى على القلب عملا من الاعتقادات، وعلى الجوارح الظاهرة عملا من الطاعات"^٣.

تاسعا : بين هذا الحديث أن الطريقة التي علم بها جبريل عليه السلام الصحابة - رضوان الله عليهم - هي طريقة فذة ومثلى، حيث اعتمد على الاستجواب أو السؤال والجواب ، فالسائل جبريل عليه السلام، ومع ذلك عده النبي صلى الله عليه و سلم معلما، وفي ذلك دليل على أن طريقة السؤال من المعلم أو الاستجواب طريقة علمية صحيحة وتعليمية مفيدة ، لأنها تستخرج المعلومة من أفواه التلاميذ ، فتكون أرسخ في الفهم ، وأبقى على

١ - مجلة الإصلاح ١ / ٢٦٣ .

٢ - مجلة الإصلاح ١ / ٢٦٤ .

٣ - مقدمة الرسالة ص ٥٥ .

الأثر، وهو ما تنادي به التربية في العصر الحديث ، وهذا ينبه إلى ضرورة أخذ المعلمين بهذا الأسلوب في تدريس المواد التعليمية ولا يقال بصعوبته في المواد الشرعية ، فالحديث رد عليه وإقرار بجدواه^١.

١ - مجلة الإصلاح ١ / ٢٦٤ .

الحديث الثانى

المرأة والعلم والتعليم

عن أبى سعيد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، فقال (اجتمعن فى يوم كذا وكذا فى مكان كذا وكذا) فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال (ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة، إلا كان لها حجابا من النار)، فقالت امرأة منهن يا رسول الله واثنين ؟ قال فأعادتها مرتين ثم قال (واثنين واثنين واثنين)^١.

التعريف براوى الحديث:

أبو سعيد الخدرى : هو أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأجر - بالباء الموحدة وبالجم - وهو خذرة الذى ينسب إليه أبو سعيد هذا، ابن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الخزرجى الخدرى، بضم الخاء المعجمة وإسكان الدال المهملة.

استصغر أبو سعيد يوم أُخذ فَرْدٌ، وغزا بعد ذلك مع رسول الله ﷺ ثنتى عشرة غزوة، وكان أبوه مالك صحابياً استشهد يوم أُحد، رضى الله عنه.

رُوى لأبى سعيد عن النبى ﷺ ألف حديث ومائة وسبعون حديثاً، اتفق البخارى ومسلم على ستة وأربعين منها، وانفرد البخارى بستة عشر، ومسلم باثنين وخمسين. وروى أبو سعيد عن جماعة من الصحابى أيضاً، منهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وزيد ابن ثابت، وأبو قتادة، وعبد الله بن سلام، وأبوه مالك بن سنان.

^{١١} - أخرجه البخارى ، كتاب العلم ، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة فى العلم

وروى عنه جماعة من الصحابة، منهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجابر ابن عبد الله، وغيرهم، رضى الله عنهم أجمعين. وروى عنه خلائق من التابعين، منهم ابن المسيب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو سلمة وحميد ابنا عبد الرحمن بن عوف، وعامر بن سعد، وعطاء بن يزيد، وعطاء بن يسار، ونافع، وخلائق.

وكان من فقهاء الصحابة وفضلائهم البارعين ، وعن حنظلة بن أبي سفيان الجمحي، عن أشياخه، قالوا: لم يكن من أحداث الصحابة أفقه من أبي سعيد الخدري. وفي رواية: أعلم. ومناقبه كثيرة. توفي بالمدينة يوم الجمعة سنة أربع وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين، ودفن بالبقيع^١.

المعنى العام للحديث

لم تسعد المرأة بحقوقها المشروعة العادلة - التي طالما دأبت أحلامها وخاطرها - كما سعدت بها في كنف الإسلام ... بل إن هذه الحقوق التي قررها الإسلام للمرأة سبقت ما هو مقرر لها في الحضارة الأوربية. لقد كانت المرأة قبل الإسلام منتقصة الحقوق ، مسلوية الإرادة والحرية ، تتعرض صغيرة للوآد ، وكبيرة للعضل ، ودائما وأبدا للذل والهوان. لم يكن من حقها أن تتصرف في المال ، أو تخرج للعمل ، أو تنال شيئا من المعرفة .. فلما جاء الإسلام منحها من الحقوق فوق ما تبتغي .. وهتف رسول الله ﷺ في سمع الوجود قائلا : (استوصوا بالنساء خيرا)^٢ ، وعامل أزواجه معاملة رقيقة حانية ، وهو القائل : (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)^٣ ، ثم رد عليها كرامتها السلبية ، فعصمها من الوآد صغيرة ، وحماها من العضل كبيرة ، وأنقذها من الذل في كل حال ، ومنحها حرية

^١ - انظر : تهذيب الأسماء واللغات (رقم ٧٩٥) ، والإصابة (٣٥/٢)

^٢ أأ أخرجه مسلم (٣٧٢٠) .

^٣ - أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وقال : حديث حسن غريب صحيح من حديث الثوري .

العمل الشريف والتجارة وكسب المال ، وهياً لها فرص العلم ، بل فرضه عليها ، وألقى عليها مسؤولية كبرى ، فهي تتعبد وتتصدق وتصلي وتسارع في الخيرات ... والإسلام حين دعا المرأة إلى العلم إنما عول في دعوته لها على العلم النافع في تكوين وجدانها، وتربية شخصيتها، وهو علم ينبع من احتياجاتها ويتفق مع طبيعتها، والحديث الذي معنا يؤكد هذه الحقيقة ، ويبرز لنا مجموعة من الحقائق الضخمة والتي يجب أن نستفيد بها اليوم في تربية الفتيات ، ونجعلها نصب أعيننا ونحن نخطط لمناهج البنات.

المضامين التربوية في الحديث:

أولى هذه المضامين : أن المرأة هي التي أحست باحتياجها ، واحتياج بنات جنسها إلى التعليم ، فطالبت رسول الله بذلك ، وفيه دليل على حيوية المرأة وفطنتها وشجاعتها وبصرها بحقوقها .. فالعلم حق لها كما هو حق للرجل فلماذا يستأثر دونها بذلك ؟ إنها مطالبة بنوع من الحقوق الشرعية التي تستوي فيها المرأة مع الرجل .. ومن ثم أجابها الرسول ، وتلقى كلامها بالقبول ، ويا ليت كل حقوق المرأة من هذا الطراز لكنها تطالب اليوم بحقوق ما أنزل الله بها من سلطان ، وشتان بين حقوق وحقوق!

ولعلك معي في أن هذه المرأة المطالبة بحق العلم شجاعة لا يملكها الحياء ولا الخوف ، إذ لا حياء في الدين ، وأن ملامح الزعامة النسائية تبدو عليها ، وحبذا هذه التربية التي تخلق كيان المرأة ، وتجعل منها عقلا مفكرا وقلبا شجاعا لا يتهيب في مواقف الحق !!.

ثاني هذه المضامين : في قول المرأة (ذهب الرجال بحديثك) ما يشير إلى ظاهرة التنافس في طلب العلم بين الرجل والمرأة .. (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) وطلب الحق على هذا النحو يكسبه قوة فما كان للأسرة ولا للمجتمع أن يعيش بعلم الرجال ، لأن المرأة عضو فيه فكيف لا تظفر من توجيهات الرسول بما يظفر به الرجل ؟ كيف تعيش جاهلة والرجل عالم ، إن

العلم للمرأة يربي وجدانها ، وينمي فيها البصر بالحقوق والواجبات فتسعد نفسها وأطفالها وتعطي المجتمع وقت الحاجة ما يفيض عن وقتها ، ومجتمع كهذا : يتعلم فيه الرجل والمرأة هو مجتمع مثالي ، لأنه يتنفس برئتين لا برئة واحدة ..

ثالث هذه المضامين : في الحديث لمحة تربوية رائدة ، وهي تكمن في أن المرأة طلبت إلى رسول الله ﷺ أن تذهب إليه هي وبنات جنسها وذلك حيث قالت : (فاجعل لنا يوما نأتيك فيه) ولكن رد الرسول عليها يتضمن أن عليهن أن يجتمعن في يوم معين ويذهب إليهن الرسول بنفسه ، فعلام يدل هذا ؟ إنه يعطي المرأة حقا ، ويسبغ عليها كرامة ، ويفيض عليها قداسة ، فالرسول ﷺ يذهب إليها وهي لا تجيء إليه ، فحبذا لو تأسينا برسول الله في ذلك .. فانتقل المدرسون إلى البنت في بيتها أو أماكن التعليم الخاصة بالبنات - وبيت المرأة الآن هو المعاهد الخاصة بتعليم البنات ، أو الكليات الخاصة بهن، وهذا بحمد ما تراعيه وتقوم به مشيخة الأزهر الشريف وجامعة الأزهر، فقد خصصت معاهد للبنات وكذلك كليات خاصة بهن وموزعة على محافظات مصر، وذلك تقديرا لأنوثتها، وعظفا على ضعفها ورقتها، وتوفيرا لوقتها ، وصيانة لها من مزاحمة الشباب وما يترتب على ذلك من مآس وأضرار.

رابع هذه المضامين : كذلك يعطي الحديث لمحة اجتماعية راقية نألفها اليوم في مجتمعاتنا، وهو تجمع الفتيات والسيدات للاستماع إلى محاضرة وشهود ندوة أو ما إلى ذلك ، إن هذا الأسلوب الحضاري ليس وليد العصر الحديث ، ولكنه مألوف على عهد رسول الله ﷺ، وهو دليل على حيوية مجتمع النبوة واحتفائه بالمعرفة ، ولطالما التقى رسول الله بالنساء في ندوات جامعة، وجلس بينهن يشرح القضايا، ويوضح الأحكام ، وجلست المرأة في مجلسه المبارك تناقش ، وتتعلم، وتستفيد ...

ونلاحظ أن الرسول الكريم حين أعطى وعدا بالدرس الأول للمرأة .. وقى بوعده وذهب في الموعد المضروب ، والنساء مجتمعات ، وما أجمل أن نتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ الصدق حين نحدد موعد محاضرة ، وبخاصة إذا كانت نسائية .. لأن الخلف في الوعد يهز الصورة ويخلخل القدوة ويترك آثارا سيئة ، وحاجة المرأة إلى العلم ماسة ، والوفاء لها واجب.

خامس هذه المضامين : في تحديد الرسول للمرأة يومين وفي مكان معين ليعلم النساء : ما يعطي دلالة قاطعة بأن دروس النساء يجب أن تفصل عن دروس الرجال ، وأن الاختلاط لا يسوغ ، ولو كان سائغا لأمر الرسول الكريم أن يلتقي الرجال بالنساء في درس العلم ، لكنه رفض ذلك مع أنه المحاضر .. فعلام يدل هذا ؟

إنه يدل في صراحة على أن الاختلاط لا يسوغ ، وأن علينا ألا نفكر فيه بحال من الأحوال، مهما يتذرع أنصاره ، فكل حججهم واهية أمام حجة الدين وأمام الطبيعة نفسها ، ولم يثبت قط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الفتى والفتاة في درس علم - لا في المسجد ولا في غيره حتى في بيعة النساء وما كان أكثرهن لم يسمح لهن بالاختلاط - وإنما بايع الرجال ، ثم بايع النساء منفصلات، ولم يكن يضع يده في أيديهن وقت البيعة إلا مع وجود حائل من منديل أو نحوه.

الحديث الثالث

التربية بالحوار والفهم في العلم

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي بِجُمَارٍ فَقَالَ : (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مِثْلُهَا كَمَثَلُ الْمُسْلِمِ) فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ ، فَسَكَتُ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (هِيَ النَّخْلَةُ)^١ .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟) فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ، ثُمَّ قَالُوا : حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، (قَالَ : هِيَ النَّخْلَةُ) .

قال : فذكرت ذلك لعمر ، قال : لأن تكون قلت : هي النخلة ، أحب إلى من كذا وكذا^٢ . ، لفظ مسلم .

التعريف براوي الحديث:

ابن عمر هو الصحابي الجليل : عبد الله بن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما ، القريشي العدوي المدني الصحابي الزاهد : أمه وأم أخته حفصة زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحي ، أسلم مع أبيه قبل بلوغه ، وهاجر قبل أبيه ، وأجمعوا أنه لم يشهد بدرًا لصغره ، وقيل : شهد أحدًا ، وقيل : لم يشهدا .

وثبت في الصحيحين عنه أنه قال : غرّضت على النبي ﷺ عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ، فلم يجزني ، وغرّضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني .

^١ - أخرجه البخاري (٧٢) ومسلم (٢٨١١)

^٢ - أخرجه البخاري (٦١) ومسلم (٧٢٧٦)

وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ وشهد غزوة مؤتة، واليرموك، وفتح مصر، وفتح إفريقية.

وثبت في صحيح البخارى، عن ابن عمر، قال: أول يوم شهدته يوم الخندق، وكان شديد الاتباع لآثار رسول الله ﷺ حتى أنه ينزل منازلهم، ويصلى في كل مكان صلى فيه، ويبرك ناقته في مبرك ناقته، ونقلوا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لئلا تيبس.

رُوى له عن رسول الله ﷺ ألف حديث وستمئة حديث وثلاثون حديثاً، اتفق البخارى ومسلم منها على مائة وسبعين، وانفرد البخارى بأحد وثمانين، ومسلم بأحد وثلاثين.

روى عنه أولاده الأربعة: سالم، وحمزة، وعبد الله، وبلال، وخلائق لا يحصون من كبار التابعين وغيرهم، ومناقبه كثيرة مشهورة، بل قل نظيره في المتابعة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كل شيء من الأقوال والأفعال وفي الزهادة في الدنيا ومقاصدها والتطلع إلى الرياسة وغيرها.

واعلم أن ابن عمر أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهم ستة: أبو هريرة، ثم ابن عمر، ثم أنس، وابن عباس، وجابر، وعائشة، وهو أحد العبادلة الأربعة. قال أبو نعيم مات سنة أربع وسبعين^١.

المعنى العام للحديث:

كان عند النبي - صلى الله عليه وسلم - عشرة من الصحابة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وعبد الله بن عمر وكان طفلاً صغيراً، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بشيء من جمار النخل فصار يأكل منه، وكان من

^١ - تهذيب الأسماء واللغات (رقم ٣٢١).

عادته - صلى الله عليه وسلم - إذا اجتمع بأصحابه في بعض الأحيان يلقي عليهم بعض المسائل ليختبر أفكارهم ويحرضهم في طلب العلم، فألقى عليهم مسألة وقال لهم: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي تشبه المسلم، حدثوني وأخبروني ما هي؟

فذهب وفكر كل واحد من الصحابة الحاضرين إلى نوع من أنواع شجر البوادي فسار يفسرها بذلك النوع وذهلوا وغفلوا عن النخلة.

قال عبد الله بن عمر: فلما رأيت جمار النخل في يد النبي ﷺ وهو يأكل منه وقع في نفسي أنها النخلة، ولكن استحييت أن أتكلم عنده ﷺ، وعنده الأكابر مثل أبي بكر وعمر هيبة منهم وتوقيراً لهم، فما عرف عبد الله ابن عمر أنها النخلة إلا من الجمار الذي كان مع النبي ﷺ.

وشبهه ﷺ لم النخلة بالمسلم ، كما شبهها الله في كتابه ، وضرب بها المثل للناس ، فقال : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (يعنى النخلة التى) تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ) [إبراهيم : ٢٦] ، وكذلك المسلم يأتي الخير كل حين من الصلاة ، والصوم ، وذكر الله تعالى ، فكأن الخير لا ينقطع منه ، فهو دائم كما تدوم أوراق النخلة فيها ، ثم الثمر الكائن منها فى أوقاته^١.

المضامين التربوية في الحديث:

في هذا الحديث عدة مضامين تربوية نوجزها في الآتي:
أولاً : لقد استخدم رسول الله ﷺ في هذا الحديث أسلوب الحوار اللطيف المثمر مع الصحابة - رضوان الله عليهم - وهو أحد الأساليب التربوية المهمة ، وذلك عندما طرح عليهم سؤالاً وطلب منهم الإجابة ، ليشركهم معه في الحديث ، وليستثير أفكارهم ، ويحرك عقولهم ، ويركز حواسهم ، ويهيئ

^١ - شرح ابن بطلال ١ / ١٤١ .

أنفسهم لاستقبال ما سيلقيه عليهم من معلومات تمثل الإجابة عن ذلك السؤال الذي طرحه سابقا، وبذلك تحصل الإجابة الواضحة ، ويتحقق معها الإقناع والاعتناع النابعان من أعماق النفس ، فتثبت المعلومة ، وترسخ فيها، وتتحقق الغاية التي من أجلها طرح هذا السؤال بهذه الطريقة.

وهنا درس نبوي تربوي يدعو المعلم إلى إشراك المتعلم معه في موضوع الدرس، وعدم استنثائه بذلك وحده أو الإتيان به بشكل إلقائي.

قال المهلب : معنى طرح المسائل على التلاميذ لترسخ في القلوب وتثبت، لأن ما جرى منه في المذاكرة لا يكاد ينسى^١.

ثانيا : من أساليب الفكر الإبداعي ما يسمى (بملكة العصف الذهني) والتي تتمثل في طرح الأسئلة غير المألوفة ، لتقود المتعلم إلى شحذ جميع طاقاته العقلية ، واستخراج مكنون فكره وخبايا نفسه ، ولقد حرص الرسول ﷺ على تفعيل هذا الأسلوب في تربيته للصحابة الكرام - رضوان الله عليهم.

وفي حديث ابن عمر هذا نجد أن رسول الله ﷺ قد أعطى الصحابة بعض معالم الأمر ، قبل أن يبدأ بالسؤال ، لينطلق التفكير من أسس المعطيات التي أرشدوا إليها ، وبعد ذلك يقول لهم : (حدثوني ما هي ؟) حيث يفتح لهم المجال لاستخراج الإجابة الصحيحة ، فتبدأ عملية البعصف الذهني ، وقد ترجم الإمام البخاري رحمه الله - للحديث بعدة تراجم في مواضع مختلفة، فقد ترجم له في كتاب العلم من صحيحه بقوله : " باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم"

قال العيني معلقا على الحديث : " فيه استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم ويرغبهم في الفكر"^٢.

^١ - المصدر السابق.

^٢ - عمدة القاري ٢ / ١٥ .

ونرى أن الرسول الكريم ﷺ يطرح سؤاله في جمع من الصحابة بحيث يقول ابن عمر: " فإذا أنا عاشر عشرة " ، فهي إذا تنمية جماعية موجهة لتنمية التفكير عند الصحابة من خلال طرح سؤال غير مألوف بالنسبة لديهم، ثم قام النبي المعلم ﷺ بربط هذا الأمر بشيء من لوازمه، فأتى بالجمار، ليكون التفكير منضبطاً وموجهاً^١.

ثالثاً: في الحديث إشارة إلى أنه ينبغي للشخص إذا ألقى عليه شخص سؤالاً خفياً، ويسمى لغزاً، أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال كما تفطن عبد الله إلى أنها النخلة بالجمار.

وينبغي للسائل إذا ألقى لغزاً على غيره أن لا يبالغ في تعتيمة وإخفائه على المسئول، بحيث لا يُحصَل بابا يدخل منه، بل ينبغي أن يقرب له حتى يقع في فكره فيحصله، كما فعل النبي ﷺ، فإنه ألقى السؤال عليهم والجمار في يده، لعل أن يهتدوا بها إلى النخلة، وما اهتدى منهم إلا عبد الله^٢.

رابعا: الفهم قدر زائد على العلم ، وأنه قوة ذهنية يتوصل بها صاحبها عن طريق الاستنباط إلى ما لا يتوصل إليه غيره من العلماء وقد قال على : والله ما عندنا إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مؤمن^٣ . فجعل الفهم درجة أخرى بعد حفظ كتاب الله ، لأن بالفهم له تبين معانيه وأحكامه . وقد نفى ﷺ العلم عمن لا فهم له بقوله: (رب حامل فقهٍ لا فقه له)^٤. وقال مالك: ليس العلم بكثرة الرواية ، وإنما هو نور يضعه الله في القلوب ، يعنى بذلك فهم معانيه واستنباطه.

١ - انظر : التنمية البشرية في السنة النبوية ص ٣٢ ، ٣٣ .

٢ - شرح البخاري للسفيري

٣ - أخرجه البخاري (١١١) .

٤ - أخرجه ابن ماجه (٢٣٠) .

فمن أراد التفهم فليحضر خاطره ، وبفرغ ذهنه ، وينظر إلى نشاط الكلام، ومخرج الخطاب، ويتدبر اتصاله بما قبله، وانفصاله منه، ثم يسأل ربه أن يلهمه إلى إصابة المعنى ، ولا يتم ذلك إلا لمن علم كلام العرب ، ووقف على أغراضها في مخاطبتها وأُيِّدَ بِجَوْدَةٍ قَرِيحَةٍ، وثاقب ذهن، ألا ترى أن عبد الله بن عمر فهم من نشاط الحديث في نفس القصة أن الشجرة هي النخلة، لسؤاله ﷺ لهم عنها حين أتى بالجمار ، وقوى ذلك عنده بقوله : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) [إبراهيم : ٢٤]. وقال العلماء : هي النخلة، شبهها الله بالمؤمن (١ / ١٥٦).

ما يستفاد من هذا الحديث:

١ - أنه يستحب للعالم أن يلقي المسائل الخفية على الطلبة ليمتحن أذهانهم ويختبر أفهامهم، ويبين ذلك لهم إن لم يفهموا وأما ما ورد في الحديث كما رواه أبو داود (أنه ﷺ نهى عن الأغلوطات) ' وهي صعاب المسائل، فهو محمول على ما إذا سأل الإنسان شيئاً لا نفع فيه، وسأل ليعنت المسؤول أو يعجزه، فإن ذلك لا يجوز، وأما إذا سأل ليفيد وينفع فإنه سنة.

٢ - أنه يستحب للعالم أن يحرض الناس ويحثهم على العلم وفهمه.

٣ - أنه يستحب للإنسان الحياء خصوصاً بحضرة الأكابر، ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة، ولهذا تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت.

٤ - أن فيه دلالة على أنه ينبغي الأدب مع الأكابر والإخوان والأصحاب.

١ - أخرجه أبو داود في سننه (٣/٣٢١، رقم ٣٦٥٦). وأخرجه أيضاً: أحمد في مسنده (٤٣٥/٥، رقم ٢٣٧٣٨)

٥ - أنه يستحب للصغير أن يوقر الكبير، ويستحب للولد أن يقدم أباه في القول على نفسه، وأن لا يتقدم عليه بما فهمه وإن ظن أنه الصواب توفيراً له وإجلالاً.

٦ - أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض المسائل، ويحصلها من هو دونه، لأن العلم مواهب الله، والله يؤتي الحكمة من يشاء، كما خفي على أبي بكر وعمر وغيرهما سؤال للنبي ﷺ وفهمه عبد الله على صغر سنه.

الحديث الرابع

التربية بالتوجيه

عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ : كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّخْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ^١. وفي رواية أبي داود (ادن بني، فسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك)^٢ وفي رواية الترمذي (ادن يا بني، وسم الله، وكل بيمينك، كل مما يليك)^٣.

التعريف براوي الحديث:

عُمَرَ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ هو عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمه أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، يكنى أبا حفص ، ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة ، وكان عمر أصغر من أخيه سلمة ، وقيل : إنه كان له يوم قبض النبي ﷺ تسع سنين ، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان بالمدينة^٤.

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

غلاما: الغلام من كان دون البلوغ، يقال للصبي من حين يولد إلى أن يبلغ الحلم.

في حجر رسول الله: أي في رعايته وتربيته.

تطيش: تتحرك في كل النواحي ولا تلزم موضعا واحدا.

^١ - أخرجه البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين (٥٠٦١)

(، ومسلم ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب ، أحكامهما (٢٠٢٢)) .

^٢ - أخرجه أبو داود ، كتاب الأطعمة ، باب الأكل باليمين (٣٧٧٧) .

^٣ - أخرجه الترمذي ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام (١٨٥٧) .

^٤ - الطبقات لابن سعد ٦ / ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، وأسد الغابة ٤ / ١٧٠ .

الصفحة: القصعة التي يوضع فيها الأكل.

المعنى العام للحديث:

يخبر عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه عن أمره عندما كان غلاما في حجر النبي ﷺ، فأماه أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، وكانت يده تطيش في الصفحة ، أي عند الأكل ، ومعنى تطيش: تتحرك فتميل إلى نواحي القصعة ولا تقتصر على موضع واحد ، فلما رأى النبي ﷺ هذا السلوك الخاطئ خاطبه موجهاً ومربياً : (يا غلام! سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك).

يقول الإمام النووي : " وفي الحديث ثلاث سنن من سنن الأكل ، وهي : التسمية، والأكل باليمين ، والثالثة : الأكل مما يليه ، لأن أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة وترك مروءة"^١.

المضامين التربوية في الحديث:

في هذا الحديث عدة مضامين تربوية، منها:

أولاً : الملاحظة لسلوك الطفل عمر بن أبي سلمة أثناء الطعام ، والحرص على معالجة خطئه ، حتى لا يصير ذلك عادة سلوكية يصعب مع مرور الأيام تركها ، وهذا يدل على أن العملية التعليمية لا تقتصر على تزويد الطالب بالمعارف والعلوم ، بل تقتضي كذلك حل المشكلات ومعالجة الأخطاء السلوكية ، كما يدل أيضا : على أن أسلوب الملاحظة من أكثر وسائل التقويم أهمية في ميدان التربية والتعليم بعامة ، وفي ميدان التدريس على وجه الخصوص ، وقد استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب في تقويمه للناس - ومنها ما جاء في هذا الحديث - لأنه يريد خلق الوازع الداخلي الذي يجعل

^١ - شرح صحيح مسلم للنووي ١٣ / ١٩٣ .

محاسبة الإنسان نابعة من ذات نفسه ، فهو يشعر أبدا بالرقابة على تصرفاته ، رآه الناس أو كان بعيدا عن أعين الناظرين^١ .

ثانيا : طريقة معالجة النبي ﷺ لخطأ عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه بأسلوب الأب المشفق والمعلم الرحيم ، حيث ناداه بعبارة فيها تحنن وتلطف وعطف ، فقال له: " يا غلام " وفي رواية أبي داود " ادن بني " وفي رواية الترمذي " ادن يا بني" ، ولاشك أن هذا النداء يشيع في النفس الطمأنينة ، ويثير فيها حب الاستجابة وحب التطلع إلى ما يقوله المربي ، وفيه دعوة للمتعلمين إلى ضرورة الاعتناء بمخاطبة تلاميذهم بما لا يدعوهم إلى النفور والقلق والخوف أو التذمر ، فليس من اللائق مناداة التلميذ - إذا ما أخطأ - بأسماء الحيوان ، أو بألفاظ نابية تجعله محل هزة بين أصحابه ، وربما أدى ذلك إلى رد فعل سلبي تحول مع مرور الزمن إلى كره المدرسة أصلا ، فإقرار مبدأ الرفق والملاطفة في التعامل مع التلاميذ مسلك نبوي مرعي ، قال ﷺ: (إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا)^٢.

ثالثا : أن النبي ﷺ بادر الغلام بالحل مباشرة قائلا له: (سم الله ، وكل بيمينك، وكل مما يليك) ليفهمه بطريق غير مباشرة أن ما كان يفعله خطأ يجب تركه، وفي هذا تنبيه للمعلمين إلى ضرورة مراعاة نفوس التلاميذ ، فلا يعيرونهم بأخطائهم ، أو يتوسعون في ذكرها أمام التلاميذ ، بل يجعلونهم إصلاح الخطأ بأيسر طريق وأنجح سبيل ، ، غذا رأى الأستاذ أن هذا

^١ - انظر : تعامل الرسول مع الأطفال - دراسة تربوية ص ١٦٠ ، التدريس في مدرسة النبوة ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

^٢ - أخرجه مسلم (١٤٧٨) . وانظر : تعامل الرسول مع الأطفال ص ١٦٠ .

الخطأ قد يتكرر عند التلاميذ ، فلا بأس من استعمال أسلوب التعريض ليعم التعرف على المشكلة وأسبابها وسيل علاجها^١ .

رابعا : تضمن الخطاب النبوي للترتيب الموضوعي والعلمي المساعد على حفظ المعلومة ورسوخها عند المتلقي مع تحقق الأثر لها ، فالحديث يشير إلى الابتداء في الطعام بالتسمية ، فالأكل باليمين ، ثم الأكل من الطعام القريب ، وفي هذا الترتيب لفئة تربوية هامة ، وهي أن المربي الناجح ينبغي أن يقدم ما يريده إلى الأطفال من معلومات مرتبا ترتيبا موضوعيا ، يتلاءم مع مستواهم العقلي ، وبما يتناسب كذلك مع أعمارهم الزمنية والروحية والاجتماعية ، ودرجات نضوجهم، وتفتحهم الانفعالي والعاطفي تقبلا وتعديلا وتوجيها^٢.

خامسا : أن تعليمه صلى الله عليه وسلم الطفل آداب الأكل والاهتمام به يدل من باب أولى على ضرورة الاعتناء ببعض الأحكام الشرعية الأخرى التي يحتاج إليها الصبي ، كالوضوء وأحكام الصلاة.

سادسا: أن تعليم النبي ﷺ الصغير البداءة ببسم الله في الأكل، فيه ربط للصبي بالله تعالى ، وأن يعتقد الفضل من الله تعالى لا شريك له، لذلك يستحق أن يطاع ويشكر ، وفي ذلك تنبيه للمعلمين على ضرورة الاعتناء بالأصل العقدي والبداءة به ، ليشب الأطفال وقد تعلق نفوسهم بالله تعالى.

^١ - تعامل الرسول مع الأطفال ص ١٦١ .

^٢ - انظر : خطاب النبي للطفل المسلم ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، والتربية ودورها في تشكيل السلوك ص ٢٠٧ .

سابعاً : أن هذا المسلك التعليمي دل على فعاليته ونجاحه وأثره الطيب على الأطفال ، بدليل أن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال بعدها : " فما زالت تلك طعمتي بعد " ^١.

^١ - انظر : تعامل الرسول مع الأطفال ص ١٦١ ، ١٦٢ ، خطاب النبي للطفل المسلم ص ١٩٧ .

الحديث الخامس

وجوب الإخلاص لله تعالى

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَكِحُّهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" متفق عليه (١).

التعريف براوي الحديث:

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ:

اسمه: ونسبه: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عدي بن كعب القرشي العدوي ، يجتمع نسبه مع نسب الرسول ﷺ في كعب بن لؤي ، أمه: حنتمة بنت هاشم بن المغيرة.

مولده: ولد بعد مولد الرسول ﷺ وبعد عام الفيل بثلاثة عشر عاما، وكان عند بعثة النبي ﷺ شديدا على المسلمين ، ثم أسلم فكان إسلامه فتحا على المسلمين وفرجا لهم من الضيق .

إسلامه: أسلم ﷺ بعد رجال ونساء سبقوه إلى الإسلام ، يُقدر عددهم بأربعين رجلا وأحدى عشرة امرأة ، وكان إسلامه عزا ظهر به الإسلام ، وذلك

١ - أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول ﷺ
٩/١ رقم ١ ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة . باب قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) .

بفضل دعوة الرسول ﷺ حيث قال : (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب) قال: وكان أحبهما إليه عمر^١.

رُوي عن عمر أن قال : خرجت أتعرض رسول الله ﷺ فوجدته سبقني إلى المسجد فقامت خلفه فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أتعجب من القرآن ، فقلت: هذا والله شاعر - كما قالت قريش - ، فقرأ ﴿ إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر * قليلا ما تؤمنون ﴾ فقلت: كاهن ، قال: فقرأ ﴿ ولا يقول كاهن قليلا ما تذكرون ﴾ حتى ختم السورة . قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع^٢.

لقبه: لقَّبه الرسول ﷺ بالفاروق لأن الله جعل الحق على لسانه وقلبه ، فهو ينتصر له ويُفَرِّق بين الحق والباطل.

جهاده: كان ﷺ من المهاجرين الأولين ، وشهد بدراً والغزوات كلها مع الرسول ﷺ ، و وَلِيَ الخِلافة بعد أبي بكر ﷺ سنة ثلاث عشرة من الهجرة. كنيته: كَنَاهُ الرسول ﷺ أبا حفص ، والحفص هو الأسد ، لما رأى من شدته وقوة بأسه ﷺ .

تزوج النبي ﷺ ابنته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها ، فكان صهرًا للنبي ﷺ.

خلافته: تولى عمر ﷺ الخلافة بعد أبي بكر الصديق ﷺ ، وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين ، قيل لأنه خطب الناس يوما فقال : أنتم المؤمنون وأنا أميركم.

^١ - أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ ، عن ابن عمر

٥٧٦/٥ رقم ٣٦٨١ ، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

^٢ - الإصابة في تمييز الصحابة ٢٨٠/٤.

واشتهر عمر رضي الله عنه بالقوة والشجاعة ، والحزم ، والعدالة والنزاهة ، ورجاحة العقل وسداد الرأي ، وسلامة القصد ، وجهارة الصوت ، وحسن البيان .

وتعتبر سيرته في الخلافة -التي امتدت عشرة أعوام وخمسة أشهر - أنموذجاً في كثير من الأمور منها :

١ - الإستشارة وطلب رأي العامة والخاصة .

٢ - الإصرار على إحقاق الحق وإبطال الباطل ، ونشر العدالة والمساواة بين الرعية .

٣ - تدوين الدواوين .

٤ - محاسبة الولاة ، ومراقبة تصرفاتهم وسلوكهم وأموالهم .

٥ - التأريخ بسنة الهجرة النبوية الشريفة .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في شأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كان إسلامه فتحاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة .

مروياته: روى عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة وثلاثين حديثاً ، أشهرها حديث الأعمال بالنية ، وروى عن أبي بكر ، وأبي بن كعب ، وغيرهم رضي الله عنهم .

وروى عنه أولاده عبد الله وعاصم وحفصة ، وروى عنه أيضاً عثمان وعلي وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم أجمعين .

وكان من العشرة المبشرين بالجنة .

وفاته: استشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة ، عن ثلاث وستين سنة ، طعنه أبو لؤلؤة المجوسي -لعنه الله - ، وكان عمر إماماً في صلاة الفجر^١ .

^١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥٢/٤ ، الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١١٤٤/٣ .

منزلة هذا الحديث:

هذا الحديث له شأن عظيم وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ،
رُوي عن الشافعي أنه قال: هذا الحديث ثلث العلم، وقال أيضا: يدخل فيه
سبعين باباً من الفقه.

وقد وجّه البيهقي كونه ثلث الإسلام فقال: إن كسب العبد يقع بقلبه ،
ولسانه ، وجوارحه ، والنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها ، لأنها قد تكون
عبادة مستقلة ، وغيرها يحتاج إليها ، ومن ثم ورد : نية المؤمن خير من
عمله ، فإذا نظرت إليها كانت خير الأمور.

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

إنّما: إن المؤكدة ، وما الكافية ، اقترنا لإفادة الحصر ، وهو إثبات
الحكم المذكور بعدها ونفيه عما عداه.

الأعمال: جمع عمل ، والعمل : حركة البدن وجوارحه ، وعلى هذا يكون
النطق عملاً لأنه عمل اللسان .

بالنيات: قال القسطلاني : الباء تحتل المصاحبة ، والسببية ، والمعنى :
أن الأعمال ثابت ثوابها بسبب النيات^١، ويجوز أن تكون الباء للإستعانة،
أي: استعن على قبول الأعمال وصحتها بالنية.

النيات: جمعة نية ، والنية في اللغة : القصد مطلقا ، وفي الشرع : قصد
الشيء مقترنا بفعله امتثالاً وخضوعاً لله سبحانه وتعالى .

امرئ: لفظ يُطلق أصلاً على الرجل وفيه لغتان : امرئ ، ومرة ، في
مؤنثه لغتان: امرأة، ومرة ، وقد استعمل النبي ﷺ اللغة الأولى منهما فقال :
(لكل امرئ) وقال: (أو إلى امرأة ينكحها)، وقيل : المقصود منه مطلق

^١ - رشاد الساري شرح صحيح البخاري ٥٤/١ .

الإنسان؛ رجلا كان أو امرأة، ولا جمع لهذه الكلمة من لفظها. وأما جمعها من غير لفظها فتُجمع على: رجال أو قوم .

فمن كانت هجرته: الهجرة في اللغة : الترك ، وفي الشرع مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة . وقيل : حقيقتها ترك ما نهى الله ورسوله عنه ، لقوله صلى الله عليه وسلم (والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)^١.

دنيا يصيبها: الدنيا سميت بذلك لدنوها - أي قربها - إلى الزوال، أو لسبقها الحياة الآخوية.

وقد اختلف العلماء في حقيقتها فقيل: هي اسم مجموع هذا العالم المتناهي، وقيل: ما على الأرض من الجو والهواء، وقيل: كل المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل الآخرة .

المعنى العام للحديث:

في هذا الحديث الشريف يُبين النبي ﷺ منزلة النية ومكانتها، فهي رأس الأعمال وأساسها، وعليها مدار قبول الأعمال الصالحة أو عدمه، وعلى العبد أن يُحسن نيته ويجعلها خالصة لوجه الله تعالى ، ويتوجه بأعماله إلى الله طوعا وعبادة وامتنالا لأمره ، وسيكون جزاؤه بحسب نيته ومقدار إخلاصه فيها، والنية محلها القلب.

وقد وضع الإسلام ميزانًا دقيقًا يُعرف به قبول العمل عند الله تعالى أو عدم قبوله، وهذا الميزان له شرطان أساسيان:

الشرط الأول: أن يكون العمل صالحا، صوابا، موافقا لشرع الله، أي أمرنا الله به، أو رسوله ﷺ.

^١ - أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة ، باب : تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي ١٩٨٤/٤ رقم ٢٥ .

الشرط الثاني: أن يكون العامل مخلصا لله تعالى، لا يريد بعمله غرضا من أغراض الدنيا كرياض أو سمعة، أو شهرة.

والدليل على ذلك من القرآن الكريم قوله سبحانه : ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾^١.

وقال الفضيل بن عياض في قوله سبحانه ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾^٢ قال: أخلصه وأصوبه، فإن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل، حتى يكون خالصا صوابا، قال: والخالص: إذا كان لله عز وجل، والصواب: إذا كان على السنة^٣.

والدليل من السنة : هذا الحديث الذي معنا (إنما الأعمال بالنيات) ، وحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (مَنْ أَدَّاهُ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) وفي رواية الإمام مسلم: (مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) (٤) .

وكل عمل يُسئل عنه العبد يوم القيامة سؤالين: لم فعلت ؟ وكيف فعلت؟ والفوز في هذين السؤالين يكون بالإخلاص لله تعالى ، والمتابعة لرسول الله ﷺ.

١ - سورة الكهف آية ١١٠ .

٢ - سورة الملك آية ٢ .

٣ - جامع العلوم والحكم ص ١٢ .

٤ - أخرجه البخاري رقم ٢٦٩٧ ، ومسلم رقم ١٧١٨ / ١٧ ، ١٨ . ومعنى (أحدث) : ابتدع، وقوله (أمرنا) : أي ديننا ، وقوله (فهو رد) : مردود عليه غير مقبول عند الله .

منزلة النية:

والنية لها شأن عظيم، قال داود الطائي: رأيت الخير كله إنما يجمعه حُسن النية.

وقال زيد الشامي: إني لأحبُّ أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الطعام والشراب.

وقال مُطَرِّف بن عبد الله: صلاح القلب بصلاح العمل ، وصلاح العمل بصلاح النية .

وقال ابن عجلان: لا يصلح العمل إلا بثلاث: التقوى لله، والنية الحسنة، والإصابة.

وقال الفضيل بن عياض: إنما يُريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك^(١).
أسأل الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص له في النية والقول والعمل.

فقه الحديث:

النية في كلام العلماء لها معنيان:
أحدهما:

تميز العبادات بعضها عن بعض، كتميز صلاة الظهر من صلاة العصر مثلاً، وتميز صيام رمضان من صيام غيره، وكذلك الصدقة تكون فرضاً وتكون نفلاً، والفرض منه زكاة ومه كفارة. أو تميز العبادات من العادات، كتميز الغسل من الجنابة من غُسل التبرّد والتنظيف، ونحو ذلك وهذا يدخل في عموم قوله ﷺ : (و إنما لكل امرئ ما نوى) ، وهذه النية هي التي توجد كثيراً في كلام الفقهاء في كتبهم.

والمسلم يستطيع أن يُحول العادات إلى عبادات بإخلاص نيته لله تعالى ، فإذا أكل بنية التقوى على طاعة يكون الأكل عبادة، وإذا نام بنية أخذ قسط

١ - جامع العلوم والحكم ص ١٢.

من الراحة لمواصلة طاعة الله، يكون النوم عبادة، وإذا تزوج بنية إعفاف نفسه عن الحرام وإنجاب ذرية صالحة تطيع الله يكون الزواج عبادة، إلى غير ذلك ، وإذا خرج لطلب العلم بنية أن يتعلم كيف يعبد الله ، وأن ينفع نفسه ، ومجتمعه ، ووطنه يكون خروجه لطلب العلم عبادة .

المعني الثاني:

تمميز المقصود بالعمل، هل هو الله وحده لا شريك له ؟ أم لله وغيره؟ وهذه هي النية التي يتكلم فيها العلماء في كتبهم في كلامهم عن الإخلاص وتوابعه، وقد صنّف الإمام أبو بكر ابن أبي الدنيا كتابا سماه: كتاب الإخلاص والنية، وإنما أراد هذه النية التي تكرر ذكرها في كلام النبي ﷺ تارة بلفظ النية، وتارة بلفظ الإرادة، وقد جاء ذكرها كثيرا في كتاب الله تعالى بلفظ الإرادة قال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا﴾ سورة الإسراء: ١٧-١٨ .

وقد يُعبر عنها في القرآن بلفظ الإبتغاء قال سبحانه : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا مَنْ أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس وَمَنْ يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ سورة النساء: ١١٤

ما يستفاد من هذا الحديث:

١ - أن قبول الطاعات يتوقف على إخلاص النية لله عز وجل ، والمتابعة لرسول الله ﷺ .

٢ - أجمع المسلمون على عظم قدر هذا الحديث ، وكثرة فوائده.

٣ - أن النية محلها القلب.

٤ - لا يجوز الإقدام على عمل قبل معرفة حكمه ، لأن العمل يكون منتفيا إذا خلا عن النية ، ولا يصح فعل الشيء قبل معرفة حكمه.

٥- أن الأعمال الشرعية معتبرة بالنية و الحسبة ، والمراد بالحسبة : طلب الثواب من الله.

٦- أن النية تميز العمل هل هو لله، أم لغيره رياءً وسمعة، وتُميز مراتب الأعمال، كالفريضة عن النافلة، والعبادة عن العادة، كالصوم عن الحمية الجوع.

٨- بيان ما تحظى به المرأة في الشريعة الإسلامية من مكانة عالية ، وعناية تامة ، حيث عبّر النبي ﷺ بقوله (ولكل امرئ ما نوى) : فكلمة امرئ تشمل الرجل والمرأة على حد سواء ، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾ سورة النساء آية ١٢٤

٨- بعض الطلاب -هدانا الله وإياهم - يُسافرون إلى منابع العلم ، ويتكبدون الأتعاب والمشقات ، ولا همّ لهم سوى شهادات وأوراق تؤهلهم لمناصب ومراتب دنيوية ، وليس لهم وراء ذلك حبة خردل من الإخلاص ، لذا تزداد نسبة الأميين بين هؤلاء الجامعيين ، ولو أنهم أخلصوا لله في طلبهم العلم لنفع الله بهم البلاد والعباد .

الحديث السادس

فضل طلب العلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَذَكَّرُونَ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)^١.

التعريف براوي الحديث:

أَبِي هُرَيْرَةَ

اسمه ونسبه : هو عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَخْرٍ الدَّوْسِيُّ ، الْيَمَانِيُّ ، الْإِمَامُ ، الْفَقِيهُ ، الْمُجْتَهِدُ ، الْحَافِظُ ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَيِّدُ الْخُفَاطِ الْأَنْبَاءِ. اُخْتُلِفَ فِي اسْمِهِ عَلَى أَقْوَالٍ جَمَّةٍ ، أَرْجَحُهَا : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَخْرٍ. وكنيته "أبو هريرة"، و"أبو هر" بسبب هرة حملها في كُفِّهِ ، أو هرة كان يداعبها. إسلامه : وهو من قبيلة دَوْسِ الْيَمَنِ ، تُوفِيَ والده وهو صغير فنشأ يتيمًا ، وأسلم قديمًا قبل الهجرة وهو بأرض قومه على يد "الطفيل بن عمرو الدوسي"، وكان رجلًا شريفًا شاعرًا مضيافًا، وكانت قريش تعرف منزلته في قومه.

^١ - أخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .

وهاجر أبو هريرة رضي الله عنه من اليمن إلى المدينة في أيام فتح خيبر، وقد لازم النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر حياته، وكان يلزمه في حله ، وترحاله ، في ليله ونهاره، حتى حَمَلَ عنه عِلْماً كَثِيراً، طَيِّباً، مُبَارَكاً فِيهِ، لَمْ يُلْحَقْ فِي كَثْرَتِهِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ: خَلَقَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ. وقد أسلمت أمه بعد الهجرة وفرح بإسلامها فرحاً شديداً.

وكانت خيبر أول غزوة شارك فيها مع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم شهد جميع غزواته بعدها، وقاتل مع أبي بكر في حروب الردة، ولما وُلِّيَ عمر الخلافة استعمله على البحرين ، ودافع عن عثمان في الفتنة.

وفي عهد "معاوية" ولاءه على المدينة ، كما ولى "مروان بن الحكم"، فكان إذا غضب من أبي هريرة ولى مروان ، وإذا غضب من مروان ولى أبا هريرة. وَرَوَى عنه نحو ثمانمائة من الصحابة والتابعين.

و كان رضي الله عنه أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له ، وذلك ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له. فقد روى من الأحاديث (٥٣٧٤)، وهنا لا بد من ذكر أسباب كثرة حديث أبي هريرة رضي الله عنه فأقول:

لكثرة حديث أبي هريرة رضي الله عنه أسباب ، استخرجناها من عدة روايات:

١ - أنه قصد حفظ أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وضبط أحواله؛ لأجل أن يستفيد منها، ويفيد الناس، ولأجل هذا كان يلزمه ويسأله، وكان أكثر الصحابة لا يجترئون على سؤاله إلا عند الضرورة.

٢ - أنه كان يلزم النبي صلى الله عليه وسلم، ويتبعه حتى في زيارته لنسائه وأصحابه ليستفيد منه، ولو في أثناء الطريق، فكانت السنين القليلة من صحبته له كالسنين الكثيرة من صحبة كثير من الصحابة، الذين لم يكونوا يرونه صلى الله عليه وسلم إلا في وقت الصلاة، أو الاجتماع لمصلحة يدعوهم إليها أو حاجة يفرعون إليه فيها.

٣- أنه كان جيد الحفظ قوي الذاكرة، وهذه ميزة امتاز بها أفراد من الناس كانوا كثيرين في زمن النبي ﷺ ، وما يقرب منه؛ إذ كانوا يعتمدون على حفظهم.

٤- بشارة النبي ﷺ له بعدم النسيان، كما ثبت في حديث بسط الرداء ، وهو مروي من طرق متعددة في الصحاح والسنن.

٥- دعاؤه له بذلك كما ثبت في حديث زيد بن ثابت عالم الصحابة الكبير رضي الله عنه عند النسائي وفيه: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، فَسَأَلَهُ [عَنْ شَيْءٍ]، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: عَلَيْكَ أبا هُرَيْرَةَ، فَإِنِّي بَيْنَمَا أَنَا وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَفُلَانٌ فِي الْمَسْجِدِ، ذَاتَ يَوْمٍ نَدَعُو اللَّهَ، وَنَذْكُرُ رَبَّنَا خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فَسَكَنَّا فَقَالَ: «عُودُوا لِلَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ» قَالَ زَيْدٌ: فَدَعَوْتُ أَنَا وَصَاحِبِي [قَبْلَ أَبِي هُرَيْرَةَ]، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤَمِّنُ عَلَيَّ دُعَائِنَا، ثُمَّ دَعَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِثْلَ مَا سَأَلَكَ صَاحِبَايَ هَذَانِ، وَأَسْأَلُكَ عِلْمًا لَا يُنْسَى "، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «آمِينَ»، [فَقُلْنَا]: " يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ عِلْمًا لَا يُنْسَى "، فَقَالَ: «سَبَقَكُمْ بِهَا الْغُلَامُ الدَّوْسِيُّ».

٦- أنه تصدى للتحديث عن قصد؛ لأنه كان يحفظ الحديث ؛ لأجل أن ينشره، وأكثر الصحابة كانوا ينشرون الحديث عند الحاجة إلى ذكره في حكم ، أو فتوى أو استدلال ، والمتصدي للشيء يكون أشد تذكراً له، ويذكره بمناسبة وبغير مناسبة ؛ لأنه يقصد التعليم لذاته، وهذا السبب لازم للسبب الأول من أسباب كثرة حديثه.

٧- أنه كان يحدث بما سمعه وبما رواه عن غيره من الصحابة ، فقد ثبت عنه أنه كان يتحرى رواية الحديث عن قدماء الصحابة فروى عن : أبي بكر وعمر، والفضل بن العباس وأبي بن كعب، وأسامة بن زيد وعائشة ، وبصرة الغفاري ، أي: أنه صرح بالرواية عن هؤلاء ، ومن المقطوع به أن

بعض أحاديثه التي يصرح فيها باسم صحابي كانت مراسيل ؛ لأنها في وقائع كانت قبل إسلامه ، ومراسيل الصحابة حجة عند الجمهور .

٨- أن أبا هريرة رضي الله عنه مد الله في عمره بعد وفاة النبي ﷺ ، واحتاج الناس إلي ما عنده من علم فحدثهم به ، ولم يكتمه عنهم .

٩- أنه أحد الرواة الذين رووا حديث النبي ﷺ أنه قال : (من كذبا علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وبعيداً كل البعد أن يروى هذا الحديث ثم يكذب علي النبي ﷺ .

فمن تدبر هذه الأسباب لم يستغرب كثرة رواية أبي هريرة ، ولم ير استنكار أفراد من أهل عصره لها موجباً للارتياب في عدالته وصدقه ؛ إذ علم أن سبب ذلك الاستنكار عدم الوقوف على هذه الأسباب .

وتوفي رحمه الله تعالى بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة عن ثمانية وسبعين عاماً ، وقيل : توفي سنة "٥٨هـ" ، وقيل سنة : "٥٩ هـ"¹ .

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

نَفَس عن مؤمن كربة: أي فرّج عنه كربة.

الكُرْبَة : بضم الكاف: الشدة، والكرْب على وزن الضرب: الحزن والغم الذي يأخذ بالنفس وجمعه كروب²، وتنفيسها: أن يخفف عنه منها أو أن يُزيلها عنه.

يتدارسونه: يقرأونه ويتعهدون تلاوته، وتدارسوا القرآن أي: اقرأوه وتعهدوه لئلا تنسوه، وأصل الدراسة : الرياضة والتعهد للشيء³.

١ - الإصابة في تمييز الصحابة ٤/١٩٩-٢٠٧ ، سير أعلام النبلاء ٢/٦١٠ .

٢ - لسان العرب، مادة : كرب ٥/٣٨٤ .

٣ - النهاية في غريب الحديث، مادة: درس ٢/١١٣ .

السكينة: الوقار والتأني والسكون، وقيل: الرحمة. وقيل: هي خلق رقيق كالريح والهواء^١.

غشيتهم الرحمة: أي غطتهم الرحمة، وغشاه تغشية إذا غطاه، وغشى الشيء إذا لابس^٢.

حققتهم الملائكة: أي دارت حولهم^٣.

وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ: عند مسلم - بطأً - : من التبطئة، وعند الترمذي وابن ماجه وأحمد وابن حبان -أبطأ- : من الإبطاء وهما ضد التعجل، والمعنى: مَنْ أَخْرَجَ عَمَلُهُ السَّيِّئَ وَتَفْرِيطُهُ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ لَمْ يَنْفَعِهِ فِي الْآخِرَةِ شَرَفُ النَّسَبِ^٤.

المعنى العام للحديث:

وهذا حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب وفيه فوائد جلية: فالجزاء من جنس العمل، وَمَنْ نَفَسَ كَرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كما قال أيضا ﷺ : (إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عْبَادَهُ الرَّحْمَاءُ)، ويوم القيامة شديد حره كما قال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضُوعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جَوْعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ

١ - النهاية في غريب الحديث، مادة سكن ٣٨٦/٢ .

٢ - المرجع السابق ، مادة : غشيا ٣٦٩/٣.

٣ - المرجع السابق ، مادة : خفف ٤٠٨/١.

٤ - المرجع السابق ، مادة بطأ ١٣٤/١ ، وتحفة الأحوذى ٢٦٩/٨ .

الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسى مؤمنا على عُري كساه الله من خضر الجنة) ^١.

قوله ﷺ : (مَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)، هذا يدل على أن الإعسار قد يحصل في الآخرة ، وقد وصف الله يوم القيامة بأنه يوم عسير، وأنه على الكافرين غير يسير قال سبحانه: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ^٢، والتيسير على المُعسر في الدنيا من جهة المال يكون بأحد أمرين: إما بإنظاره إلى الميسرة وذلك واجب؛ كما قال تعالى ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^٣. وإما بإعطائه ما يزول به إعساره، وكلاهما له فضل عظيم فعن أبي قتادة ؓ عن النبي ﷺ قال: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلْيُنْفِسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ) ^٤.

قال حكيم:

ما دمت تقدر فالأيام حالات	بادر أخِي إلى المعروف مجتهدا
تُقضى على يديه للناس حاجات	وأُسعد الخلق بين الوري رجل
وعاش قوم وهم في الناس أموات	قد مات قوم وما ماتت مكارمهم

وقوله ﷺ : (مَنْ سَتَرَ مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة) : الستر يغني الإخفاء وهو نوعان:

١ - أخرجه الترمذي رقم ٢٤٤٩ وأحمد ١٤٩٣/٣ ، وقال الترمذي غريب (أي ضعيف)، وقد رُوي موقوفا على أبي سعيد وهو أصح.

٢ - سورة الفرقان آية ٢٦ .

٣ - سورة البقرة آية ٢٨٠ .

٤ - رواه الإمام مسلم في كتاب: المساقاة، باب: فضل إنظار المُعسر ١٥٩٦/٣ رقم ١٥٦٣.

١ - ستر محمود ، ويكون في حق الإنسان المستقيم الذي لم يُعهد منه سوء، ولم يحدث منه عدوان إلا نادرا، فهذا ينبغي أن يُستر ويُصح ويُبين له أنه على خطأ، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أقيلا ذوي الهيئات عثراتهم)¹.

٢ - ستر مذموم: ويكون في شخص مستهتر متهاون في الأمور، مُعتدٍ على عباد الله، شرير، فهذا لا يُستر عليه، بل المشروع أن يُبين أمره لولاة الأمر حتى يردعوه ، ويكون عبرة لغيره².

وقوله ﷺ : (و من سلك طريقا يلتمس فيه علما): سلوك الطريق لإلتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم مثل: حفظه، ودراسته ، ومذاكرته ، والتفهم له.

وقوله ﷺ : (سهل الله له به طريقا إلى الجنة) : قد يُراد به: أن الله يُيسر لطالب العلم الإنتفاع به والعمل بمقتضاه، فيكون سببا لهدايته ولدخول الجنة بذلك .

وقد يُيسر الله لطالب العلم علوما أخر ينتفع بها وتكون موصلة إلى الجنة. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)³.

ولقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم أمته في مدارس القرآن وحثهم على ذلك لما فيه من عزهم وشرفهم ، وصلاح أحوالهم، ولما فيه من الأجر العظيم عند الله سبحانه وتعالى، وتدارس القرآن معناه: قراءة بعضهم على

١ - أخرجه أبو داود رقم ٤٣٧٥، والبخاري في الأدب المفرد رقم ٤٦٥ .

٢ - جامع العلوم والحكم ٢/

٣ - أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب: فضل طلب العلم ٢٩/٥ رقم ٣٦٤١ وقال: هذا حديث حسن.

بعض تصحيحاً لألفاظه وكشفاً لمعانيه، وقال الجزري في النهاية: تدارسوا القرآن أي اقرأوه وتعهدوه لئلا تنسوه.

وبين النبي ﷺ بعض ما أعدّه الله لهم فقال: إلا نزلت عليهم السكينة، وهي: الطمأنينة والوقار، وفي هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد.

ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة: الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما، ويدل عليه حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: (لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)^١.

وبين النبي ﷺ أن من كان عمله ناقصاً فإن نسبه لا يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال الصالحة فينبغي ألا يتكل على شرف النسب وفضيلة الآباء ويُقصر في العمل، فقال ﷺ: (من بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه).

ما يستفاد من الحديث :

١ - بيان فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك .

٢ - فضل الستر على المسلمين .

٣ - فضل إنظار المُعسر .

٤ - فضل المشي في طلب العلم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي، بشرط أن يقصد بذلك وجه الله تعالى، وإن كان هذا شرط في كل عبادة لكن

١ - أخرجه الإمام مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب: الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٤/٢٠٧٤ رقم ٢٧٠٠ .

عادة العلماء أنهم يقيّدون هذه المسألة به، لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس ويغفل عنه بعض المبتدئين^١.

٦- أن الجزاء من جنس العمل ، فمن فرج كرب المكروبين فرج الله كربهم يوم الدين.

٧- الحث علي تعلم العلم ، وأن الله يرفع أهل العلم درجات في الدنيا والآخرة

الترغيب في تعلم القرآن ، وتعليمه ، والعمل به ، وأن العمل بالقرآن سبب العزة و الكرامة والرفعة في الدنيا والآخرة

٨- الذي يرفع الانسان ويعلي قدره عند الله هو : عمله الصالح وليس النسب ، وقد قال النبي ﷺ : (ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)

ولما نزل قوله تعالى ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) نادي النبي ﷺ علي قرابته، وحثهم علي العمل الصالح فقال: (يا معشر قريش : اشتروا انفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا. يا بني عبدالمطلب : لا أغني عنكم من الله شيئا. يا صفية عمة رسول الله : لا أغني عنك من الله شيئا. يا فاطمة بنت رسول الله: سليني بما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا)^٢.

١ - فتح الباري ٥٧/٩ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ٢١،٢٢/١٧ ، وتحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي ٢٦٨/٨ ، ٢٦٩.

٢ - أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب في قوله تعالى ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) ١٩٢/١ رقم ٢٠٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الحديث السابع

الحرص على العلم

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال : قيل يا رسول الله مَنْ أَسْعَدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : "لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولَ منك لما رأيتُ من حرصك على الحديث. أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، أو نفسه"^١.

التعريف براوي الحديث:

أبو هريرة رضي الله عنه: تقدمت ترجمته في الحديث السادس.

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة: من حُرف استفهام . أسعد على وزن أفعل أي : أكثر سعادة.

أول منك: يجوز في أول الرفع والنصب ، الرفع على أنها صفة لكلمة

^١ - أخرجه البخاري في كتاب العلم باب ٣٣ الحرص على الحديث ٢٥٥/١ رقم ٩٩ وفي كتاب الرقاق باب ٥١ صفة الجنة والنار ٥٠٩/١١ رقم ٦٥٧٠ وفيه : أنه قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ وفي آخره : من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه . وأخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب العلم باب الحرص على العلم ٢٦/٣ رقم ٥٨٤٢ . وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٤٦/١٤ رقم ٨٨٥٨ . وفي ١٧/١٦ رقم ١٠٧١٣ ولفظه : عن أبي هريرة أنه قال : يا رسول الله ماذا ردَّ عليك ربك عز وجل في الشفاعة ؟ قال : لقد ظننت لتكونن أول من سألني عنها مما رأيت من حرصك على العلم ، شفاعتي لمن يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً ، يصدق قلبه لسانه ، ولسانه قلبه " .

"أحد". والنصب على أنها مفعول ثاني لظننتُ.

من قال لا إله إلا الله: أي مع قوله : محمد رسول الله ، فقد يكتفي بالجزء الأول من كلمتي الشهادة لأنه صار شعاراً لمجموعهما . وفي هذه الجملة احتراز من الشرك.

خالصاً من قلبه: أي مخلصاً لله تعالى وفي هذا احتراز من النفاق والرياء.

المعنى العام للحديث:

في هذا الحديث الشريف شهادة من النبي ﷺ لأبي هريرة ؓ بأنه حريص على العلم وحريص على أحاديث النبي ﷺ .

وهذا الحرص أدى به إلى ملازمة النبي ﷺ وحضور مجالس العلم حتى صار أكثر الصحابة رواية للحديث عن النبي ﷺ .

وفي هذا دعوة لنا جميعاً بالحرص على العلم ، وعلى الاستفادة من الوقت في تحصيل العلوم . فقد يكون عند الإنسان فرصة لا يحصل عليها بعد ذلك . قال الإمام الشافعي رحمه الله :

أخي لن تنال العلم إلا بسة .:. سأنبئك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة^١ .:. وصحبة أستاذ وطول زمان^٢

فالحرص على تحصيل العلم من أهم أسباب تحصيله، ومن كان حريصاً على تحصيل العلم فإنه يحرص على الاستفادة من الوقت ولا يضيعه فيما لا يُفيد ولا يُجدي ، فالوقت نعمة من الله سبحانه وتعالى تستوجب الشكر ، والوقت من أغلى ما يمتلكه الإنسان فهو الحياة ، وهو رأس مال الإنسان ،

١ - بلغة: أي شئ من الزاد يقتات به ليبلغ به ما يريد من تحصيل العلم .

٢ - ديوان الإمام الشافعي ص ٢٨ .

وإذا ضيّعه فلا يُمكن أن يسترده ، وشبّهه بعض العقلاء بالذهب ، ولكنه أغلى و أنفس من كل نفيس.

قال الحكيم:

والوقت أنفس ما عُنيتَ بحفظه .. وأراه أيسر ما عليك يهون

قول الإمام الشافعي رحمه الله : الوقت كالسيف ؛ إن لم تقطعه قطعك ، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

ومن أهم ما يُعين على تحصيل العلم : علو الهمة ، فيجب على طالب العلم أن يبذل ما في وسعه لتحصيله، ولا يركن إلى الكسل، ولا يُسوّف، ويجعل قدوته العلماء العاملين، الذين جدّ وتسابقة في ميدان العلم، فنفع الله بهم الأمة أمثال: البخاري و مسلم وأبو داود وابن كثير والقرطبي والطبري وغيرهم كثير رحمهم الله تعالى.

وفي قول النبي ﷺ : " أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه " ، دليل على أن كل من يحصل له شفاعته يسعد بشفاعته لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة بها ، فالنبي ﷺ يشفع في الخلق كلهم لإراحتهم من هول الموقف ، وهي الشفاعاة العظمى ، ويشفع في بعض الكفار بتخفيف العذاب كما صح في حق أبي طالب ، ويشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد أن دخلوها ، وفي بعضهم بعدم دخولها بعد أن استوجبوا دخولها ، وفي بعضهم بدخول الجنة بغير حساب ، وفي بعضهم يرفع الدرجات فيها ، فظهر الاشتراك في السعادة بالشفاعة ، وأن أسعدهم بها المؤمن المخلص^١.

^١ - فتح الباري ٢٥٦/١.

ما يستفاد من هذا الحديث:

- ١ - بيان فضل أبي هريرة رضي الله عنه.
- ٢ - فضل الحرص على تحصيل العلم.
- ٣ - اشتراط النطق بكلمتي الشهادة ، لتعبيره ﷺ بالقول في قوله : " من قال لا إله إلا الله " .
- ٤ - وجوب الإخلاص لله تعالى في القول والفعل.
- ٥ - تفاوت مراتب المؤمنين في السبق إلى دخول الجنة بتفاوت مراتبهم في الإخلاص لله تعالى.
- ٦ - إثبات الشفاعة للنبي ﷺ يوم القيامة.
- ٧ - السؤال الحسن دليل علي الحرص علي العلم.
- ٨ - أن المؤمنين سيسعدون بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة.
- ٩ - أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ من قال : لا إله إلا الله مخلصا من قلبه.

الحديث الثامن

تكرار الكلام ثلاثا عند الحاجة إلى ذلك

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» ثَلَاثًا «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ -» وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَكِنًا، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ^١.

التعريف براوي الحديث:

أبو بكرة ؓ هو : نفع بن الحارث بن كلدة بن عمرو ، كنيته : أبو بكرة لأنه تدلي من حصن بالطائف علي بكرة إلي النبي ﷺ و أسلم بين يديه ، فأعتقه النبي ﷺ يومئذ روي أحاديث عن النبي ﷺ .

روي عنه أولاده : عبدالله ، عبدالرحمن ، عبدالمعز ، وروي عنه أيضا : الحسن البصري ، ومحمد بن سيرين ، .. وغيرهم .
قال بن سعد : نزل البصرة وسكنها ثم مات بها سنة إثنيتين وخمسين من الهجرة، روي له الجماعة ، رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين^٢.
معاني الكلمات الواردة في الحديث:

ألا أنبئكم: أي ألا أخبركم و"ألا" - بفتح الهمزة وتخفيف اللام - للتنبيه والإشارة إلى أهمية ما بعدها، وهو في الأصل مركب من همزة الاستفهام و"لا" النافية،
بأكبر الكبائر: جمع كبيرة، وهي الفعل القبيحة، فهي في الأصل صفة

١ - أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر ١٠/٤٠٥ رقم ٥٩٧٥.

٢ - الإصابة في تمييز الصحابة، تقريب التهذيب ٢/٣٠٦.

لموصوف محذوف، وفي المراد منها شرعا خلاف يأتي في فقه الحديث. ثلاثا: مفعول لقال. أي قال لهم ﷺ ذلك ثلاث مرات وكرره على عادته في تكرير الشيء ثلاث مرات تأكيدا وتنبيها للسامع على إحضار قلبه وفهمه للخبر الذي يذكره.

الإشراك بالله: قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يراد به مطلق الكفر [فيشمل منكر الألوهية، ومثبتها مع إنكار الرسالة واليوم الآخر] ويكون تخصيصه بالذكر لغلبته في الوجود لا سيما في جزيرة العرب، فذكر تنبيها على غيره من أصناف الكفر وعقوق الوالدين: -بضم العين المهملة- مشتق من العق: وهو القطع، يقال: عق والده يعقه - بضم العين - فهو عاق: وهو الذي شق عصا الطاعة لوالديه، هذا قول أهل اللغة، وأما حقيقة العقوق المحرم شرعا، ففيه خلاف طويل يأتي في فقه الحديث.

وشهادة الزور، أو قول الزور: أصل "الزور" تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من سمعه أو رآه بخلاف ما هو به، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق، وقد يضاف إلى القول، فيشمل الكذب والباطل، وقد يضاف إلى الشهادة فيخص بها، وقد يضاف إلى الفعل، ومنه: لابس ثوبي زور، ومنه تسمية الشعر الموصول زورا، وجاء في رواية "قول الزور أو شهادة الزور" بتقديم القول على الشهادة، وفي رواية بالواو بدل "أو"

وكان متكئا فجلس: وفي رواية "وجلس وكان متكئا" الإتكاء: الاضطجاع على الجنب، أو هو الاعتماد على الشيء بالجنب واليد، كوضع اليد على وسادة مع تجافي الجنب عن الأرض، فالاضطجاع اتكاء وزيادة. وجلوسه صلى الله عليه وسلم من اتكائه يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئا، وذلك يفيد تأكيد تحريمه وعظم قبحه وسيأتي سبب الاهتمام به. فما زال يكررها: أي يكرر هذه العبارة، و هي "شهادة الزور".

حتى قلنا: ليتَه سكت: أي حتى قلنا ذلك في أنفسنا دون نطق، أي حتى تمنينا سكوته إشفافاً عليه ﷺ .

المعنى العام للحديث:

من الأساليب التربويه التي استخدمها النبي ﷺ في تعليم أمتَه و إرشادهم : تكرار الكلام عند الحاجة إلي ذلك ، ورفع الصوت أحياناً ، وتغيير هيئة جلوسه ، وذلك إهتماماً بالأمر الذي ينبه عليه وهذا ما أشار إليه الحديث الدس معنا .

والنبي ﷺ بعثه الله رحمة، فكان يأمر أمتَه بطاعة الله ويحذرُها من معصيته ومخالفة أوامره، وفي هذا الحديث يحذر النبي ﷺ أمتَه من أمهات المعاصي ويحيطها بكثير من التنفير حتى يبتعد الناس عنها.

وقول النبي ﷺ (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً) أي ثلاث مرات على عادته في تكرار الشيء ثلاث مرات تأكيداً لئنبه السامع على إحضار قلبه، وفهمه للخير الذي يذكره. وفي تعريف الكبير قال ابن عباس ؓ : أنها كل ذنب ختمه الله بنار. أ، غضب، أو لعنة، أو عذاب، وقال آخرون: هي ما أوعده الله عليه بنار في الآخرة، أو أوجب فيه حداً في الدنيا^١.

وأكبر الكبائر هو : الشرك بالله تعالى، فهو الذنب الذي لا يغفره الله لصاحبه إلا بالتوبة منه ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^٢، وإذا مات الإنسان وهو مشرك فهو مخلد في النار وبئس القرار، قال تعالى ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاوَاهُ النَّارَ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^٣.

١ - فتح الباري ١٠/٤١٠.

٢ - سورة الانساء الآية ٤٨.

٣ - سورة المائدة الآية ٧٢.

وإذا كان الشرك بالله بهذه الخطورة فينبغي على المسلم أن يعرفه ويعرف أقسامه حتى يحذر منه ويتعد عنه.

والشرك بالله هو: أن يصرف الإنسان جزءاً من العبادة لغير الله تعالى، فالإنسان مخلوق لعبادة الله وحده قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾^١، وقال سبحانه: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾^٢.

فإذا صرف الإنسان جزءاً من العبادة لغير الله يكون مشركاً والعياذ بالله، والإشراك بالله قسمان: شرك أكبر، وشرك أصغر، فيجب على المسلم أن يعرف أقسام الشرك من كتب العقيدة الإسلامية؛ حتى لا يقع فيه وهو لا يدري، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأل عن الشر مخافة أن يدركني...^٣.

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ : (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)^٤.

والله سبحانه وتعالى قد حذر أنبيائه ورسله جميعاً من الشرك بالله ، وبين أنه محبط للعمل ، وأن صاحبه من الخاسرين قال الله تعالى: ﴿ولقد أوحى إليك

١ - سورة الذاريات آية ٥٦.

٢ - سورة الأنعام الآية ١٦١.

٣ - أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب كبت الأمر إذا لم تكن جماعة ٣٥/١٣ رقم ٧٠٨.

٤ - أخرجه مسلم في متاب الإيمان، باب من مات لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ٩٤/١ رقم ٩٣.

والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ٥ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴿١﴾.

وأما الكبيرة الثانية: التي حذرنا منها النبي ﷺ فهي: عقوق الوالدين، والله تعالى أمرنا ببر الوالدين والإحسان إليهما فقال سبحانه ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ٥ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾^٢.

وبر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى ، ومن أهم أسباب تفريج الكرب، وتيسير الأمور واستجابة الدعاء .

وحذرنا ربنا سبحانه من عقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، وبين أنه من الإفساد في الأرض فقال ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ٥ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾^٣.

والعقوق - بضم العين المهملة - مشتق من العق وهو القطع ، والمراد به: صدور ما يتأذى به الوالدين من ولدهم من قول أو فعل.

وعقوق الوالدين من قطيعة الرحم، وهو سبب في الحرمان من الجنة، فعن جبير بن مطعم - رضي الله عنه -

انه سمع النبي ﷺ يقول : (لا يدخل الجنة قاطع) أي : قاطع الرحم. ومن العقوق أن يتسبب الإنسان في لعن والديه ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال: رسول الله ﷺ (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل

١ - سورة الاسراء الايتان ٢٣، ٢٤.

٢ - سورة محمد الايتان ٢٣، ٢٢.

٣ - أخرجه البخاري في كتاب الادب ،باب إثم القاطع ١٠/١٥ رقم ٥٩٨٤.

والديه، قيل يا رسول الله ، وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل ابا
الرجل فيسب اياه، ويسب أمه فيسب أمه)^١.

وهذا الأمر مشهور بين كثير من الناس فلنحذر منه، ولنبتعد عنه.
ثم يحذر النبي ﷺ من قول الزور ، وشهادة الزور ، بعد أن غير هيئته ،
حيث كان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور فما زال
يكررها حتى أشفق عليه الحاضرون لما رأوه من انزعاجه ولا يقدرين على
النطق تأدبا معه ﷺ .

وهذا أسلوب تربوي منه ﷺ حيث كرر الكلام اهتماما بالأمر.
قال ابن دقيق العيد: اهتمامه ﷺ بالتحذير من شهادة الزور لأنها الأسهل
وقوعا على الناس، والتهاون بها أكثر، ومفسدتها أيسر وقوعا، وأعظم
ضررا، والدوافع إلى قول الزور كثيرة، فحسن الإهتمام بالتحذير منه، وعطف
الشهادة على القول في قوله ﷺ : (ألا وقول الزور، وشهادة الزور) من
باب التأكيد، وقيل: من باب عطف الخاص على العام، لأن كل شهادة قول
زور وليس العكس.

وقال القرطبي: شهادة الزور هي : الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى
الباطل من اتلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو، تحريم حلال، فلا
شيء من الكبائر أعظم ضررا منها ولا أكثر فساداً بعد الشرك بالله^٢.

فقه الحديث:

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه: العقوق المحرم كل فعل
يتأذى به الوالد - أو نحوه - تأذيا ليس بالهين مع كونه ليس من الأفعال
الواجبة. قال: وربما قيل: طاعة الوالدين واجبة في كل ما ليس بمعصية،

١ - أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب: لا يسب الرجل والديه ١٠/٤٠٣ رقم ٤٩٧٣.

٢ - فتح الباري ١٠/٤١١ ، ٤١٢.

ومخالفة أمرهما في ذلك عقوق، وضبطه ابن عطية بوجوب طاعتهما في المباحات، فعلا وتركيا، واستحبابها في المندوبات وفرض الكفاية كذلك، ومنه تقديمها عند تعارض الأمرين، وهو كمن دعت أمه ليمرضها مثلا بحيث يفوت عليه فعل واجب إن استمر عندها، ويفوت ما قصدته من تأنيسه لها وغير ذلك أن لو تركها وفعله، وكان مما يمكن تداركه مع فوات الفضيلة كالصلاة أول الوقت ، أما شهادة الزور أو قول الزور فقد قال ابن دقيق العيد: إن عطف الشهادة على القول ينبغي أن يكون تأكيدا للشهادة، لأننا لو حملناه على الإطلاق لزم أن تكون الكذبة الواحدة مطلقا كبيرة، وليس كذلك، فمراتب الكذب متفاوتة بحسب تفاوت مفسده. وقال غيره: يجوز أن يكون من عطف الخاص على العام، لأن كل شهادة زور قول زور بغير عكس.

وإنما اهتم ﷺ بشهادة الزور فوق اهتمامه بسائر الكبائر لأنها أسهل وقوعا على الناس، والتهاون بها أكثر، ومفسدتها أيسر وقوعا فإن الشرك ينبو عنه المسلم، والعقوق ينبو عنه الطبع، وأما شهادة الزور فإن الحوامل عليها كثيرة، كالعداوة والحسد وغيرها، ومفسدتها متعدية إلى غير الشاهد، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمها، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك.

وقول الزور من اكبر الكبائر؛ لأنه يتوصل به إلى إتلاف النفس، والمال وتحريم الحلال، وتحليل الحرام.

وظاهر الأحاديث أنه لا فرق في كون شهادة الزور كبيرة بين أن تكون بحق عظيم أو حقير، حتى لو أتلّف بها اليسير، وقال عز الدين: إنما ذلك إذا أتلّف بها خطير، وقد يضبط بنصاب السرقة، فإن نقص احتمال أن يكون من الكبائر فقط ما عن هذه المفساد، وسدا للباب.

تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر:

ولا خلاف في تقسيم الذنوب إلى كبائر وأكبر الكبائر، ولكن الخلاف في تقسيمها إلى كبائر وصغائر، فقد ذهبت طائفة منهم أبو إسحاق الإسفراييني إلى أنه ليس في الذنوب صغيرة، بل كل ما نهى الله عنه كبيرة، ونقل ذلك عن ابن عباس وحكاه القاضي عياض عن المحققين، واحتجوا بأن كل مخالفة لله فهي بالنسبة إلى جلاله كبيرة، ونسبه ابن بطل إلى بعض الأشعرية فقال: انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر هو قول عامة الفقهاء، وخالفهم من الأشعرية أبو بكر بن الطيب وأصحابه، فقالوا: المعاصي كلها كبائر، وإنما يقال بعضها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، كما يقال: القبلة المحرمة صغيرة بإضافتها إلى الزنا، وكلها كبائر، قالوا: ولا ذنب عندنا يغفر باجتناب ذنب آخر، بل كل ذلك كبيرة، ومرتكبه في المشيئة غير الكفر، لقوله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: ٤٨] قالوا: وجواز العقاب على الصغيرة كجوازه على الكبيرة.

وذهب الجمهور إلى انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر. قال النووي: قد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة إلى القول بأن من الذنوب كبائر ومنها صغائر.

وقال الغزالي: إنكار الفرق بين الكبيرة والصغيرة لا يليق بالفقيه. وقال القرطبي: ما أظنه يصح عن ابن عباس أن كل ما نهى الله عز وجل عنه كبيرة لأنه مخالف لظاهر القرآن في الفرق بين الصغائر والكبائر في قوله: {الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم} [النجم: ٣٢] وقوله: {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم} [النساء: ٣١] في المنهيات صغائر وكبائر، وفرق بينهما في الحكم إذ جعل تكفير السيئات في الآية مشروطا باجتناب الكبائر، واستثنى اللمم من الكبائر والفواحش فكيف يخفى ذلك على حبر القرآن.

قال النووي بعد اختياره رأي الجمهور: واختلفوا في ضبط الكبيرة اختلافاً منتشراً، فروي عن ابن عباس: أنها كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب. قال: وجاء نحو هذا عن الحسن البصري. وقال آخرون: هي ما أوعده الله عليه بنار في الآخرة، أو أوجب فيه حداً في الدنيا، وممن نص على هذا الأخير الإمام أحمد، ومن الشافعية الماوردي.

وقد ضبط كثير من الشافعية الكبائر بضوابط أخرى، منها قول إمام الحرمين: كل جريمة تؤذن بقلّة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة. ومن أحسن الضوابط، وهو الذي تستريح إليه النفس، ما قال القرطبي في المفهم، ونصه: الراجح أن كل ذنب نص على كبره أو عظمه أو توعده عليه بالعقاب، أو علق عليه حد، أو شدد النكير عليه فهو كبيرة.

ومما ورد النص بكونه كبيرة (غير ما ورد في حديثنا) السحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات، واليمين الفاجرة، والإلحاد في الحرم أو استحلال البيت الحرام، وشرب الخمر، والسرقعة، والتعرب بعد الهجرة، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة، والغلول، والزنا، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، والبهتان، والألد الخصم، والمنان، والديوث، ومن غير منار الأرض، والنميمة، والغيبة، وترك التنزه عن البول، والنهبة، ومنع فضل الماء، ومن أتى كاهناً، والتسبب في لعن الوالدين، وما لم يرد فيه نص على كونه كبيرة مع كونه كبيرة لا ضابط له، وما نشك في كونه كبيرة يجب البعد عنه حذراً أن يكون كذلك.

قال الواحدي: ما لم ينص الشارع على كونه كبيرة فالحكمة في إخفائه أن يمتنع العبد من الوقوع فيه خشية أن يكون كبيرة. كإخفاء ليلة القدر.

وهذا ومع إيماننا بانقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر يجب أن نستشعر أن الذنب قد يعد بالنسبة إلى حق الأقران والزملاء صغيرة، ولكنه في حق الملك يكون كبيرة، والرب أعظم من عصي، فكل ذنب بالإضافة إلى مخالفته عظيم. ثم إن الإصرار على الصغيرة، والإكثار من الصغائر يجعلها كبائر، لأن نفس الإصرار على العصيان كبيرة، ولأن التكرار أو الإكثار من الصغائر يؤذن بقلّة اكتراث مرتكبها بالدين، فقد روي عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهما: "لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار" قال ابن عبد السلام: و حدّ الإصرار هو أن تتكرر منه الصغيرة تكراراً يشعر بقلّة مبالاته بدينه، إشعار ارتكاب الكبيرة بذلك. أما ما يحمل على فلتات النفس أو اللسان، ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهو صغيرة، على أن ما يعد صغيرة في حق البعض قد يعد كبيرة في حق الآخرين، فهفوة الجهلاء والفاسقين ليست كهفوة العلماء والصالحين، وما لا يعد معصية في حق العامة قد يعد ذنباً في حق الأنبياء، ومن هنا قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين^١.

١ - فتح المنعم شرح صحيح مسلم ٢٨٨/١ .

ما يستفاد من هذا الحديث:

- ١ - يستفاد من قوله: "أكبر الكبائر" انقسام الذنوب إلى كبير وأكبر، ويستنبط منه أن في الذنوب صغائر وكبائر، ولا يلزم من كون الذي ذكر أنه أكبر الكبائر استواءها، فإن الشرك بالله أعظم من جميع ما ذكر معه.
- ٢ - الحث على مجانبة كبائر الذنوب.
- ٣ - الزجر عن الشرك بالله فهو أعظم الذنوب.
- ٤ - الزجر عن فعل ما ينهى عنه.
- ٥ - من مات مشركا باله فهو مخلد في النار .
- ٦ - تغليظ أمر شهادة الزور، لما يترتب عليها من المفاسد، وإن كانت مراتبها متفاوتة، وفي معناها كل ما كان زورا من تعاطي المرء ما ليس له أهلا.
- ٧ - يجوز للعالم والمفتي والإمام الاتكاء في مجلسه بحضرة الناس لألم يجده في بعض أعضائه، أو لراحة يرتفق بذلك، ولا يكون ذلك في عامة جلوسه. وأقول: إن محل ذلك حيث يرضى جلساؤه به ويحبونه، أما حيث يتأفف منه الجلساء ويستكرونه ويحملونه على الإهمال وسوء الأدب فلا يجوز.
- ٨ - استحباب إعادة الموعظة ثلاثا لتفهم.
- ٩ - اشفاق التلميذ على شيخه إذا رآه منزعجا ، و تمنى عدم غضبه لما يترتب على الغضب من تغيير مزاجه.
- ١٠ - ما كان عليه الصحابة من كثرة الأدب معه صلى الله عليه وسلم والمحبة له والشفقة عليه. والله أعلم

الحديث التاسع

الإسلام دين الوسطية والاعتدال

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذًا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْفُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^١.

التعريف براوي الحديث:

أنس بن مالك - رضي الله عنه:

نسبه: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن عدي بن النجار أبو حمزة، الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الرواية عنه.

صح عن أنس أنه قال : قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين وإن أمه أم سليم أتت به النبي ﷺ فقالت له : هذا أنس غلام يخدمك ، فقبله

^١ - رواه البخاري في كتاب النكاح باب: الترغيب في النكاح ١٠٤/٩ رقم ٥٠٦٣، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه ووجد مؤونة ١٠٢٠/٢ رقم ١٤٠١/٥٠ عن أنس رضي الله عنه أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي عن عمله في السر؟ فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم لا أكل اللحم ، وقال بعضهم لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه فقال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ! لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني).

النبي ﷺ وكناه أبا حمزة ، ومازحه النبي ﷺ فقال له: يا ذا الأذنين.
جهاده: كان - رضي الله عنه - مجاهداً في سبيل الله. قال محمد بن
عبدالله الأنصاري: خرج أنس مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه،
قال الحافظ ابن حجر: وإنما لم يذكره في البدرين لأنه لم يكن في سن من
يقاتل. واشترك مع النبي ﷺ في ثمان غزوات وكانت إقامته بعد النبي ﷺ
بالمدينة ثم شهد الفتوح الإسلامية ثم سكن البصرة ومات بها، وكان آخر
الصحابة موتاً بالبصرة.

دعاء النبي ﷺ له: عن أنس ؓ قال: جاءت بي (أمي) أم سليم إلى النبي
ﷺ وأنا غلام فقالت: يا رسول الله أنس ادع الله له، فقال النبي ﷺ: "اللهم
أكثر ماله، وولده، وأدخله الجنة" قال أنس: قد رأيت اثنين وأنا أرجو الثالثة.
وعن ثابت قال: كنت عند أنس فجاء قهرمانه^١ فقال: يا أبا حمزة عطشت
أرضنا، قال: فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية فصلى ركعتين، ثم دعا فرأيت
السحاب تلتم، قال: ثم أمطرت حتى ملأت كل شيء، فلما سكن المطر بعث
أنس بعض أهله فقال: انظر أين بلغت السماء، فنظر فلم تعد أرضه إلا
يسيراً. وكان بستانه يثمر في السنة مرتين.

اقتدائه بالنبي ﷺ : عن أبي هريرة ؓ قال: ما رأيت أحداً أشبه صلاة
برسول الله ﷺ من ابن أم سلمة يعني أنساً. وقال ابن سيرين: كان أنس
أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر.

ولايته على البحرين: ولما استُخلف أبو بكر بعث إلى أنس ليوجهه إلى
البحرين، فدخل عليه عمر فاستشاره فقال: ابعته فإنه لبيب كاتب، فبعثه.
وفاته : مات أنس بن مالك - رضي الله عنه - سنة ثلاث وتسعين ، وهو

١ - القهرمان :أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه (المعجم الوسيط
٧٩٤/٢).

آخر الصحابة موتاً بالبصرة ، رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين^١.

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

جاء ثلاثة رهط: رهط اسم جمع ولا واحد له من لفظه، والرهط يطلق على مجموعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة، أما النفر فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه ويطلق على العدد من ثلاثة إلى تسعة.

يسألون عن عبادة النبي ﷺ : أي عن العبادة السرية.

فلما أخبروا: بالبناء للمجهول والمفعول محذوف تقديره (فلما أخبروا بعبادته).

كأنهم تَقَالَوْهَا: بتشديد اللام المضمومة أي عدّوها قليل، والتعبير بالتنبيه للدلالة على أنهم لم يتقالوها بالفعل لأن الإستهانة بعبادة النبي ﷺ لا تقع من الصحابة.

أما: بفتح الهمزة وتشديد الميم حرف تفصيل واستفتاح، و (أما): بفتح الميم دون تشديد فهو حرف تنبيه.

المعنى العام للحديث:

لقد كان الصحابة الكرام ﷺ عندهم حرص شديد على الاقتداء بالنبي ﷺ في كل أحواله، لأنهم علموا وأيقنوا أن السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة في الاقتداء بالنبي ﷺ كما أمرهم ربهم في قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بوذكر الله كثيراً)^٢ ، وحرصاً من بعض الصحابة في الاقتداء بأحوال النبي الخفية التي لا يطلع عليها إلا أهله، فقد ذهبوا إلى بيوت أزواجه ليسألوا عن عبادته ﷺ في السر، فلما

١ - راجع : الإصابة في تمييز الصحابة (٧١/١) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٩٨/٩) .

٢ - سورة الأحزاب الآية ٢١ .

أخبروا بما يفعله ﷺ في بيته قالوا: إن هذه العبادة تناسب حاله ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وعزموا على أن يجتهدوا في العبادة تقربا إلى الله تعالى وخوفا من عقابه ، فقال أحدهم: أنا أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال ثالث: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم : أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ قالوا نعم يا رسول الله، ذفعنا إلى ذلك خوفا من عقاب الله، فأرشدهم رسول الله ﷺ إلى الرفق بأنفسهم لأن الدين يُسر ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، وقال لهم: أما إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، وهذه سنتي التي أمر الله بها، فمن أعرض عنها فليس مني.

قوله (يسألون عن عبادة النبي ﷺ) : أي العبادة التي يعملها النبي ﷺ قوله (كأنهم تقالوها) : بتشديد اللام المضمومة أي كأنهم عدوها ورأوها قليلة.

وقوله (كأنهم): تشبيه والمراد أنهم لم يقولوا إنها قليلة بالنسبة للنبي ﷺ، وإنما اعتبروها قليلة بالنسبة لأنفسهم، لذلك قالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. والمعنى أن من لم يعلم بحصول ذلك له يحتاج إلى المبالغة في العبادة عسى أن يحصل له المغفرة، لكن النبي ﷺ بين لهم أنه أشد الناس خشية لله وخوفا منه فقال: (أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له) ، وأشار إلى معنى آخر في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت له : لم تفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: (أفلا أكون عبدا شكورا)^١.

^١ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ((ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما))

موقف النبي ﷺ وتصحيح المفاهيم:

في الحديث: فجاء إليهم النبي ﷺ فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)؛ فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي عزموا عليه ليس من الإسلام فلا رهبانية في الإسلام، ولكن الإسلام دين الوسط والاعتدال، فخي الأمو أوسطه، وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، وكما في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)^١.

وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير سواد المسلمين.

أما من يُشدد على نفيه في العبادات فيصوم كل يوم مثلاً، ويقوم كل الليل مثلاً، فإنه لا يأمن على نفسه من الملل وترك العبادة بالكلية، وقد نهى عن ذلك في قوله [إن المنبت لا أرضا قطع، ولا ظهراً أبقى]^٢ والمعنى: أن هذا تشبيه من يُشدد على نفسه في العبادة بمن ركب دابة وأراد أن يصل إلى قرية أخرى، فأخذ يضربها ويحثها على السير بسرعة، فتعثرت الدابة وانكفأت وتعبت، فهذا الشخص لا هو وصل إلى بُغيته ومراده، ولا هو أبقى على دابته.

^١ - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: الدين يسر ٩٣/١ رقم ٣٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٢ - فتح الباري ١٠٥/٩.

التوفيق بين روايتين:

قوله (جاء ثلاثة رهط) وفي رواية الإمام مسلم: (أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ)؛ لا تعارض بين الروایتين لأن الرهط من ثلاثة إلى عشرة، والنفر من ثلاثة إلى تسعة، وكل منهما اسم جمع لا واحد له من لفظه. وجاء في رواية الإمام البخاري: فجاء رسول الله ﷺ فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما إني لأخشاكم له وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر) ، ففي هذه الرواية خاطبهم النبي ﷺ بأشخاصهم، وجاء في رواية الإمام مسلم : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه وقال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟)

ويُجمع بين هاتين الروایتين بأن النبي ﷺ منع من التشدد في العبادة عموما جهرا ولم يُعين أحدا منهم فقال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا)، وخصّهم بأسمائهم فيما بيه وبينهم رفقا بهم وسترا عليهم.

فقه الحديث:

هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب النكاح ومناسبته لهذا الموضع قوله ﷺ (وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني). وسبب ذهاب هذا الرهط إلى بيوت زوجات النبي ﷺ ما روي أن رسول الله ﷺ ذكر الناس وخوفهم ، فاجتمع بعضهم واتفقوا علي : أن يصوم بعضهم النهار، ويقوم بعضهم الليل ، ولا ينام بعضهم علي الفراش ، ولا يأكل بعضهم اللحم ولا يقرب بعضهم النساء . فلما علم بهم النبي ﷺ صحح لهم الطريق وبين لهم أن منهجه الوسطية و الاعتدال، و أنه يصوم ويفطر ويصلي و ينام ويتزوج النساء .

ولعل السر في أنه لم يسألوه ﷺ وسألوا زوجاته عن عمله في بيته أنهم ظنوا أنه سيخفي عنهم عباداته السرية قولا كما أخفاها عملاً شفقةً منه ﷺ علي أمته.

وإنما قال لهم الرسول ﷺ (إني لأخشاكم لله وأتقاكم له) ليرد بذلك ما بنوا عليه أمرهم من أن المغفور له لا يحتاج إلي مزيد من العبادة بخلاف غيره فأعلمهم بأنه مع كونه لم يبالغ في التشديد في العبادة أخشي لله و أتقي من الذين يشددون، لأن المشدد لا يأمن الممل، بخلاف المقتصد فإنه أمكن لإستمراره ، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه.

حكم النكاح: إختلف العلماء في بيان حكم النكاح فذهب الحنفية إلي أنه سنة مؤكدة علي الأصح .

وقال النووي: إن قصد به طاعة كإتباع السنة، أو تحصيل الولد الصالح، أو عفة الفرج والعين، فهو من أعمال الآخرة يثاب عليه، وهو للتائق إليه القادر علي تكالفيه أفضل من التخلي للعبادة تحصيلنا للدين و إبقاء للنسل، والعاجز عن تكاليفه يصوم، أما القادر علي التكاليف غير التائق فالتخلي عنه إلي العبادة أفضل.

وعند الإمام أحمد أن النكاح واجب إذا خاف العنت، والعنت: هو الوقوع في الزنا.

والظاهر أن الأصل في النكاح الندب لكثرة الأحاديث المرغبة فيه.

والمراد من قوله ﷺ (فمن رغب عن سنتي فليس مني) أي من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري وهو يلمح بذلك إلي طريق الرهبانية فإنهم اللذين أبتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى ، وقد عابهم بأنهم ما وفوا بما التزموا فقال تعالى ((ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا إبتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها)) -سورة الحديد- من الآية ٢٧ .

حكم استعمال الطيبات:

قال الطبري: في هذا الحديث الرد على منع استعمال الحلال من الأطعمة والملابس، وآثر غلط الثياب وخشن الملابس.

قال القاضي عياض: هذا مما اختلف فيه السلف فمنهم من ذهب إلى ما قال الطبري، ومنهم من عكس واحتج بقوله تعالى: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾^١ ويرد عليهم: بأن هذه الآية نزلت في الكفار. والحق: أن الإسراف في استعمال الطيبات يُفضي إلى الترف والبَطَر، ولا يأمن من الوقوع في الشبهات ، لأن من اعتاد ذلك قد لا يجده أحياناً فلا يستطيع الانتقال عنه فيقع في المحذور، كما أن منع تناول ذلك يؤدي إلى التنطع المنهي عنه، ويرد عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^٢، كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يؤدي إلى الملل القاطع لأصلها، وملازمة الإقتصار على الفرائض وترك النوافل يؤدي إلى إثارة البطالة وعدم النشاط إلى العبادة، وخير الأمور الوسط.

ما يستفاد من الحديث:

- (١) بيان فضل النكاح والترغيب فيه.
- (٢) تتبع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم، وأنه إذا تعذر معرفتها من الرجال جاز معرفتها من النساء.
- (٣) أن من عزم على عمل برٍ واحتاج إلى إظهاره حيث يأمن الرياء لم يكن ذلك ممنوعاً.
- (٤) تقديم الحمد والثناء على الله عند إلقاء مسائل العلم.
- (٥) بيان الأحكام للمكلفين وإزالة الشبهة عن المجتهدين.

١ - سورة الأحقاف، الآية ٢٠ .

٢ - سورة الأعراف الآية ٣٢ .

٦) أن العلم بالله ومعرفة ما يجب في حقه أعظم قدرا من مجرد العبادة البدنية.

٧) وجوب اتباع سنة النبي ﷺ والسير على هديه.

٨) بيان منهج النبي ﷺ وطريقته في التعليم والتوجيه؛ حيث لم يفضح المخطئ علي المأل وإنما قال: (ما بال أقوام قالوا كذا و كذا).

٩) بيان رفق النبي ﷺ بأصحابه وأمته وتوجيههم بالتالي هي أحسن.

الحديث العاشر

التدرج في التعليم

عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ - : إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ. وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ^١.

التعريف براوي الحديث:

ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما

هو عبدالله بن عباس بن عباس بن عبدالمطلب أبو العباس الهاشمي القرشي، حبر الامة وترجمان القرآن، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وأتي به النبي صلي الله عليه وسلم فحمله وسماه، ونشأ بمكة وبقي فيها حيث قدم المدينة مع أبويه قبيل فتح مكة، وإسلامه سابقه علي ذلك صحب النبي صلي الله عليه وسلم ثلاثين شهر، ولم يشهد معه عزوة لصغر سنه ، وحرص علي طلب العلم منذ صغره، وزاد حرصه بعد موت النبي ﷺ، حتي صار بحرا فياضا في التفسير وقائمة، وسراجا وهاجا في الفقه ومسائله، ومر جعا في القضاء ومشاكله، عالما بالفرائض والشهر والايام العربي، ولذكائه وعلمه كان عمر دينيه من مجلسه، ويخصه بمعضلات المسائل ويقول له: أنت لها ولأمثالها

^١ - أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا ١٢٨/٢ (٢١٤٩٦) ومسلم كتاب الايمان باب الدعاء إلى الشهادتين والشرائع ٥٠/١ (٢٩)

وبلغت عدد مروياته (١٦٦٠)، وقد اجتمع له الشرف كله، شرف الصحبة وكفى بها شرفاً، وانضم إليه شرف قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم، مع شرف العلم فهو حبر الأمة وبحر علومها الزاخر، مع شرف الصلاح والتقوى، والعبادة والورع ت (٦٨ هـ).

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: الحين الوقت ، والضمير في قوله بعثه راجع لمعاذ بن جبل ، أي قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ وقت بعثه وإرساله إلي اليمن، وسميت بذلك لأنها تقع عن يمين الكعبة ، أو يمين ابن قحطان. إِلَى الْيَمَنِ: المراد بها إلى أهل اليمن ، ولم يكن مرسلًا لكل اليمن ، ولكن هو من قبيل إطلاق الكل وإرادة البعض ، فقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم وأبا موسى ، وكانت اقليمية ، فجعل كل واحد منهما علي إقليم. ويحتمل أن يكون الكلام علي عمومه في الدعوة إلي الامور المذكورة ، وإن كانت إقراره علي جهة مخصوصة.

أَهْلَ كِتَابٍ: المراد بهم اليهود والنصارى . وقيد قوله (قوما) باهل الكتاب مع وجود غيرهم من المشركين . تفضيلاً لهم عن غيرهم ، أو علي سبيل التغليب.

وبدأ توصيته بذلك توطئة وتمهيدا ، ليستجمع همته ، ويستحضر أولته ، فأهل الكتاب عندهم علم فجادلتهم أشد من مجادلة عبدة الأوثان .

فَإِذَا جِئْتَهُمْ: عبر باذا دون إن تفاؤلاً بحصول الوصول .

فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: أي فادعهم إلي توحيد الله، وقوله لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هذا التركيب يفيد القصر، وهو من ابا قصر الصفة علي الموصوف، والمراد ففي استحقاق الألوهية عن كل أحد، واثبتها لله وحده.

وعطف عليها الشهادة والإقرار النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، لأن
الإقرار لله تعالى بالألوهية لا يكفي لوصول العبد في الإسلام حتي ينضم إليه
الإقرار للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، فهما قرينان لا يفترقان.
فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ: أي أقرروا وتفادوا ، وتكررت هذه الجملة بعد
ذلك مرتين .

والمراد بها فيهما الإقرار بوجوب ما جاء قبلها ولا التزام بها ، وقيل المراد
أدوها. ويؤيده رواية (فإذا صلوا) قال بن حجر والذي يظهر أن المراد القدر
المشترك بين الأمرين ، فمن أمتثل بالإقرار أو الفعل كفاه ، أوبهما فأولي.
صَدَقَ: الصدقة تطلق علي ما يعطي علي وجه القربي لله تعالى ، أعم من
أن يكون واجبا أو مندبا ، والمراد بها هنا الزكاة المفروضة.
فُقَرَاءُهُمْ: الضمير فيه إما أن يكون راجعا إلي الفقراء اهل اليمن ، وإما أن
يكون راجعا إلي فقراء المسلمين عامة ، لكونهم الغالب في ذلك ، أو
للمطابقة بينه وبين الأغنياء .

فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ: إياك كلمة تحذير ، وكرائم جمع كريمة ، والمراد
بالكرائم نفائس الاموال ، وسمي نفيسا لتعلقه نفس صاحبه به.
وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمُظْلَمِ: أي اجتنب الظلم لئلا يدعو عليك المظلوم.
فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ: تعليل للاتقاء ، أي أخطر دعوته ، لأنه
ليس صارف يصرفها عن الاجابة ، والمراد أنها مقبولة.

فقه الحديث:

كان معاذ بم جبل من خيرة شباب قومه ، لا يسئل شيئا إلا أعطاه ، حتي
تراكم عليه من الدين ما قد استوعب جميع ماله ، فكلم النبي صلى الله عليه
وسلم أن يشفع له عند غرمائه ، لكنهم أبو أن يتركوا له شيئا ، فباع النبي
صلي الله عليه وسلم ماله وقسمه بين غرمائه ، فقام ولا مال له ، فأراد أن
يعوضه عما فقده فأرسله إلي اليمن قاضيا أو واليا أو هما معا ، ولم يكم

اختيار معاذ لهذا المنصب لمجرد تعويضه بل أهله له ما عرف من علمه وفقهه وروعه وفضله فلقد كان أعرف الناس بالحلال والحرام ، واحد من جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان بعثته بعد غزوة تبوك وقبل الخروج إلي حج الوداع وذوده النبي صلى الله عليه وسلم بوصية ضمنها خطة عمل ، ومنها للدعوة فأعلمه بطبيعة المرسل ليتهيأ نفسياً ويستعد ، ثم أمره بالتدرج معهم في الدعوة ، مع معاملتهم بالتي هي أحسن حتي تنجح مهمته ويتحقق له مراده.

وقد جعل علي رأس ما يدعوهم إليه توحيد الله ، فهو اساس دعوة الرسل، والأصل الذي ينبني عليه غيره، مع الإقرار النبي ﷺ بالرسالة ، ومجرد التلطف بكلمة ليس كافياً للنجاة في الآخرة حتي يسبقه يقين حازم ، وتصديق قاطع ، يتبعه عمل الجوارح ، وهذه هي حقيقة الشهادة واستدل العلماء بهذا الحديث علي انه لا يكفي في الاسلام الاقتصاد علي الشهادة أن لا اله إلا الله حتي ينضم إليها الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة و فالمطلوب مجموع الشهادتين، فمن من الكتاب موحدًا طوّل بالجمع بين التوحيد والإقرار بالرسالة، ومن كان فيهم من يعتقد ما يقتضي الإشراك كمن يقول بنبوة عزرائيل أو عيسى فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين علي التعيين.

* وفيه دليل علي أن الصلوات الواجبة خمس صلوات ، وما زاد عليها فهو تطوع ونقل ، لقوله (فأعلمهم أن الله تعالى فرض عليهم خمس صلوات) وكان بعث معاذ قبل وفاة النبي ﷺ بقليل.

خلافًا لمن أوجب الوتر . ويؤيده طلحة بن عبيد الله في الصحيح وفيه (خمس صلوات في اليوم والليلة قال علي غيرها ؟ لا إلا أن تطوع).

* واستدل بقوله (تؤخذ) علي البناء للمجهول علي أن الامام هو الذي يتولى قبض الزكاة وصرفها إما بنفسه وإما بنائه، لا أن تترك لاختيار من

وجبت عليه ففي من يملك ولا يعرف قدر ما وجب عليه، ومنهم من يبخل، فلا يترك الشح نفسه.

* كما استدلوأ به أيضا علي من أمتنع من أدائها قهر علي بزلها ، ولو لم يمكن جاحدا ، ولإمام أن يعذره ، فإن كان مع أمتناعه ذا شوكة ومنعه قوتل علي منعها كما فعل أبو بكر الصديق وقوله (علي فقرائهم) دليل علي أن الغني لا يعطي من مال الزكاة من سهم الفقراء او المساكين ، ولا خلاف بين أهل العلم في ذلك ، فإن دفعها لمن يظنه فقيرا ثم بان غناه ففي أجزائها قولان، ورجح القرطبي القول بإجزائها ولا يلزمه الاعادة.

كما استدلوأ به أن الزكاة لا تعطي إلي فقير كافر، لأن الضمير في (فقرائهم) راجع إلي فقراء المسلمين، وما إعطاؤهم من سهم المؤلفة قلوبهم تأليفا لهم علي الاسلام فأجازه مالك وأحمد وعده القرطبي من ضروب الجهاد.

* وأختلف العلماء في جواز نقل الزكاة من بلد إلي آخر، تبعا لاختلافهم في عود الضمير في قوله (فقرائهم) هل هم فقراء اليمن خاصة، أن فقراء المسلمين عامة.

وخلاصة القول : أنه متي استغني أهل البلد عن مال الزكاة كله او بعضه جاز إخراجها إلي بلد آخر وإن لم يحصل الاستغناء فلا يجوز نقله إلا لمصلحة راجحة

المعنى العام للحديث:

* التدرج في التعليم

وقد ضمن النبي ﷺ هذه الوصية منهاجا تربويا راعا ، حيث أمرهم أن يتدرج معهم في دعوتهم إلي ما يجب عليهم، فبدأ بالتوحيد ثم الصلاة وختم بالزكاة ، من باب ذكر الاله فآلهم، فالتوحيد اساس قبول العمل فقدمه، وثني بالصلاة فإنها لا تسقط عن مكلف، إلا المرأة في زمن حيضها ونفاسها، وآخر الزكاة، لأنها تجب علي قوم دون قوم، ولا تتكرر تكرار الصلاة.

- ومن ناحية أخرى أمره أن يخبرهم بها واحدة بعد الأخرى دون الاخبار بها جملة، وهذا من باب التلطف في الخطاب، والتدرج في البلاغ، فلو طالبهم بها دفعة واحدة لنفرت النفوس من كثرتها.

- والتدرج في التعليم ذو شقين كما قال بعض العلماء ، شقه يتعلق بالكم وشق يتعلق بالكيف.

فالأول: أن يعطي المتعلم من العلم المقدار الملائم ولا يكثر عليه معلمه، ومن هنا كان النبي صلي الله عليه وسلم يتجول أصحابه بالموعظة خشية السامة. وقال الزهري ليونس من يزيد لا تكابر العلم فإن العلم أودية فأنها أخذت منه قطع بك قبل ان تبلغه، ولكن خذه مع الايام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة.

وقال ابن خلدون : اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً قليلاً قليلاً.

والثاني: وهو ما تعلق بالكيف فعلى معنى أن يبدأ المعلم مع طلابه بالجلي من العلم قبل الخفي والجزئي قبل الكلي والعملية قبل النظرية.

قال ابن عباس: الرباني من يربي الناس بصغار العلم قبل كباره. والمراد بصغار العلم ما وضح منه.

ما يستفاد من الحديث:

- ١ - قبول خبر الواحد ووجوب العمل به ، لا فرق في ذلك بين العقائد والأحكام.
- ٢ - من لم يقر للنبي ﷺ بالرسالة لم ينفعه اقراره لله بالوحدانية.
- ٣ - الفقير لا زكاة عليه، لأنه مستحق لها، وهذا خاص بزكاة الأموال، دون زكاة الفطر.
- ٤ - جواز صرف الزكاة في مصرف واحد من مصارفها الثمانية.
- ٥ - جواز الدعاء على الظالم، لأن التحذير من قبول دعائه إقرار له على الدعاء.
- ٦ - ينبغي على المعلم أن يرفق بمن يعلمهم ويدعوهم، ويستخدم من الوسائل ما يدفع عنهم الملل .
- ٧ - حرص النبي ﷺ علي أمته ورفقه بهم.

الحديث الحادي عشر

التربية على حسن الخلق

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، " أَنَّ يَهُودًا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالُوا: السَّأَمَ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : وَعَلَيْكُمْ ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، قَالَ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ ! عَلَيْكَ بِالزَّفَقِ ، وَإِيَّاكَ وَالْعُفَّ وَالْفُحْشَ ، قَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ: أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِي^١ .

التعريف براوي الحديث:

عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ، حبيبة حبيب الله ، والمبرأة من فوق سبع سماوات ، وأفقه نساء الأمة على الإطلاق ، عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية المكية وأمها أم رومان الفراسية من المهاجرات الأول ، ولدت عائشة سنة خمس من البعثة وخطبها النبي ﷺ بعد موت خديجة وهي بنت ست ، ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع ، وتزوجها بكرًا وما تزوج بكرًا غيرها وكانت بها تفخر ، وأحبها رسول الله ﷺ حبًا شديدًا عرف الصحابة ذلك منه ، وصرح به لعمر بن العاص حين سأله أي الناس أحب إليك؟ قال عائشة وكانت رضي الله عنها فصيحة بليغة عالمة بالشعر وأيام العرب ، فقيهة حتى قبل إن ربح الأحكام الشرعية أخذت عنها ، وكان أكابر أصحاب النبي ﷺ يسألونها عن الفرائض فتجيبهم ، وما من أمرًا شكل عليهم فأرسلوا

^١ - أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ١٢/٨ (٦٠٣٠) ومسلم في كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (٢١٦٥).

إليها إلا وجدوا عندها فيه علمًا. مع سخاء وكرم، وزهد وتقى، وصيام وعبادة. وبلغت عدد مروياتها (٢٢١٠) وتوفيت رضي الله عنها (٥٨ هـ).

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

أن يهودًا: اليهود هم أتباع نبي الله موسى، وكلمة يهود من هاد الرجل إذا رجع وتاب، سموا بذلك لتوبتهم من عبادة العجل وقولهم (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ)، وقيل هو معرب من يهوذا وهو أحد أبناء يعقوب عليه السلام، ثم نسب إليه الواحد ف قيل: يهودي، ثم حذفت الياء في الجمع ف قيل: يهود. قاله النووي. وقيل غير ذلك.

ولا يدل اللفظ الوارد على إتيان جميع اليهود، وإنما أتى جماعة منهم كما في بعض الروايات (أتى النبي ﷺ أناس من اليهود).

السام عليكم: السام بالسين المهملة والألف الساكنة الموت. والمراد بقولهم الدعاء بالموت والهلاك في الحال.

عليكم: أي بل عليكم أنتم، وجاء في رواية (بل عليكم السام واللعنة) فأبطلت قولهم وأثبتت أنهم المستحقون لذلك.

ولعنكم الله: اللعن من الله الطرد والابعاد. ومن الخلق السب والدعاء. فدعت عليهم بالإبعاد عن رحمة الله، وإنزال عقوبته بهم جزاء ما قالوه.

مهلاً: بالنصب على أنه مصدر يقال للواحد والاثنين والجمع، ومعناه تأني وارفقي.

الرفق: بكسر الراء لين الجانب بالقول والفعل، وهو ضد العنف.

فقه الحديث:

دخل الإسلام المدينة وكثر فيها أهله، وقويت دولته، وكفر به اليهود مع من كفر ظلمًا وعلوًا، وأبطنوا له العداء، وأعظموا له الكيد، ففي الظاهر مسالمون، وفي الباطن محاربون، {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} آل عمران (١١٨) ومن صور كيدهم ومكرهم أنهم كانوا إذا التقوا بالمسلمين حيوهم قائلين، السام عليكم، يوهمونهم أنهم يحيونهم بالسلام، وهم يدعون عليهم بالموت والهلاك، وتجاوز الأمر الصحابة إلى النبي ﷺ، فقد استأذن عليه جماعة منهم في بيت ولما دخلوا قالوا السام عليكم، ففطنت عائشة لقولهم، وأن ذلك ليس من قبيل التفاف الحروف من غير قصد، وفهمت مرادهم وأنهم لم يقصدوا التحية فغضبت وثارَت فأجابتهم قائلة بل السام عليكم واللعنة، وزادت على هذا الحد في السب والدعاء فنهاها النبي ﷺ عن ذلك، وأمرها بالرفق ومكارم الأخلاق. وهذا الحديث يدل لما عليه اليهود من بغض وعداوة للإسلام وبني الإسلام، كانوا يضعون موضع لفظ السلام الذي يحمل معنى السلامة من الأذى، والأمان من المكر والخديعة، والبراءة من الآفات لفظ السام والدعاء بالهلاك والموت، وإذا كان هذا عند اللقاء في الوجه، فما تكن قلوبهم وأشد، فقد تأمروا على قتله ولأكثر من مرة، وفي كل مرة يرد الله كيدهم ويحفظ نبيه، وعداوتهم للأمة بل للبشرية جميعًا سوى شعبهم لا تخفى.

وفي قولهم (السام عليكم) تعريض بسب النبي ﷺ، والمقصود من التعريض خلاف التصريح، والتعريض بالسب كالتصريح به كما قال عياض، وألحق بالسب الدعاء عليه وتمنى المضرة له. وسب النبي ﷺ من أعظم الجرائم وأقبح الذنوب وهو موجب للردة بلا خلاف إن كان الساب مسلمًا، ونقض العهد والقتل إن كان معاهدًا، واستدل لذلك بأدلة كثيرة منها قوله

تعالى {وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} التوبة (١٢).

فمن سب ديننا أو طعن في ديننا فقد نكث عهده، فإننا لم نعهده على ذلك.

وقوله تعالى { أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَالَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} التوبة (١٣) فإذا كان مجرد همهم بإخراج الرسول موجب لقتالهم، لما فيه من الأذى فسيبه أشد.

- وإنما لم يقتل النبي ﷺ هؤلاء، إما لمصلحة التأليف، أو لكونهم لم يعلنوا بها أو لهما معًا.

وفي الحديث دليل على مشروعية رد السلام على من سلم ولولم يكن مسلمًا، والجمهور على وجوبه، وقال عطاء لا يرد عليهم والصحيح الأول. واختلفوا في صيغة الرد.

فقليل يرد عليهم و (عليكم) أو (و عليكم) وهو الثابت من فعله وقوله (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم) رواه البخاري .

وأجاز بعض العلماء أن يقال في الرد عليهم (و عليكم السلام) ولا يزد. وفصل ابن القيم تفصيلًا حسنًا فقال : إذا تحقق السامع أو شك أن الذمي قال: السلام عليكم اقتصر في الرد على قوله (و عليكم) أما إذا تحقق أنه قال: السلام عليكم فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية، وقواعد الشريعة أن يقال وعليك السلام^١.

وفي الحديث دعوة إلى التربية على مكارم الأخلاق، وإصلاح الجانب الخلقي، فلما قالت عائشة ما قالت انتصارًا للنبي ﷺ، وتجاوزت في اللعن والسب أمرها بالكف عما تقول، ثم أمرها بالرفق واللين، ونهاها عن الفحش

١ - أحكام أهل الذمة ١/١٥٧.

والعنف، وزين نصحه ووعظه بما يحملها على الكف، فقال يا عائشة لم يدخل الرفق في شئ إلا زانه، ولم ينزع من شئ إلا شانته، وفي رواية (إن الله يحب الرفق في الأمر كله) فوَقَّعت التربية بطريقتين :

أ- القدوة وهي وسيلة عملية مهمة في بناء الأخلاق، فلم يظهر النبي ﷺ غضبه، ولا قابل أذيتهم بمثلها، ولا عاقبهم على صنيعهم .

ب- الوعظ بأجمل عبارة وأحسن أسلوب، وحسن الخلق يستميل القلوب، ويحمل على قبول الحق، ويوقي شر العداوة . قال تعالى { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } فصلت (٣٤) وقال { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } النحل (١٢٥). وقال سبحانه {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} آل عمران (١٥٩).

التربية على الأخلاق الفاضلة تعد ضرورة للمجتمعات الإنسانية، فهي سياج أمني للأفراد والجماعات ، كما تعد أساساً لبقاء الأمم وحضاراتها، فلا يتصور قيام مجتمع إنساني متعاون متماسك مالم يكن بين أفرادها، روابط قوية من الأخلاق، كما أن حسن الخلق يربط بين العبد ومجتمعه، فهو يربط العبد بربه، فهل الإيمان بالله تعالى والقيام بطاعته إلا ثمرة لحسن الخلق، بل يصلح ما بين العبد ونفسه، بل بينه وبين الحياء غير العاقلة فحسن الخلق يوجب رحمتها والرفق بها، وتأدية ما وجب لها من حق.

وفي الحديث حث على الرفق وترغيب فيه وهو مفردة من المنظومة الأخلاقية، وهو وإن كان مستحباً على وجه العموم، فقد يخرج عن الاستحباب إلى الوجوب كالرفق بالوالدين، والرافع إلى الرفق إمام الصبر وإما الرحمة أو هما معاً، فمن شعر نحو غيره بشعور الرحمة رفق به، كالرفق بالمريض والمسكين ومن أساء إليك وأنت قادر على الانتصار فَعَفُوت

فالحامل على الرفق هنا الصبر، أو جفاني في سؤاله وأولى ما يكون بين المتعلم ومعلمه، فيرفق المعلم بتلميذه إن تأخر فهمه للمسألة، أو ظهر جهله. وأن يرفق المتعلم بشيخه فلا يكثر عليه في السؤال، ولا يلج عليه في الطلب.

ما يستفاد من الحديث :

- ١- عظيم خلق النبي ﷺ وكمال حلمه وعفو عمن أساء إليه .
- ٢- الانتصار لأهل الفضل ممن يؤذيهم .
- ٣- استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم يترتب عليه مفسده.
- ٤- جواز الدعاء على الكفار .
- ٥- قوة إدراك السيدة عائشة رضي الله عنها وفطنتها حيث فهمت ما قالوا مع خفائه غالبًا.

الحديث الثاني عشر

أهمية ضرب الأمثال

عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً^١.

التعريف براوي الحديث:

أبي موسى الأشعري

هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حَصار أبو موسى الأشعري، خرج من اليمن مع رفقة من أصحابه في سفينة فألفتهم الريح بأرض الحبشة فوافقوا بها جعفر بن أبي طالب، فأقاموا ورافقوه إلى المدينة، وقيل غير ذلك، استعمله النبي ﷺ على اليمن، واستعمله عمر على البصرة وهو فقيهم وعلمهم، وكان لا يقر عاملاً له أكثر من سنة، وأوصى أن يقر أبو موسى أربع سنين، وولاه على الكوفة، وفتح الله على يديه عدة أمصار، وشهد مع النبي ﷺ غزوات، وكان من أحسن الناس صوتاً، وكان من فقهاء الصحابة وعلمائهم قال ابن مسعود : صبغ في العلم صبغة ثم خرج منه، وقال مسروق: كان القضاء في الصحابة إلى ستة عمر وعلي وابن مسعود وأبي وزيد وأبي موسى، وكان أحد الحكمين بصفين وقال الشعبي: يؤخذ العلم عن

^١ - أخرجه البخاري في كتاب الصيد والذبائح باب المسك ٩٦/٧ (٥٥٣٤) ومسلم كتاب البر باب استحباب مجالسة الصالحين (٢٦٢٨) .

سنة ذكر منهم أبا موسى. وبلغت عدد أحاديثه في مسند بقي (٣٦٠) حديثاً توفي رضي الله عنه (٥٠) وقيل بعدها.

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ :

مثل: الكلمة تدل على مناظرة الشيء للشيء ومساواته به. والمراد هنا الشبه والصفة. والكلام في لف ونشر مرتب. والأصل: مثل الجليس الصالح كحامل المسك، ومثل الجليس السوء كنافخ الكير.

الجلس: على وزن فاعل وهو من يجالس الرجل، وهو أعم من الصاحب السوء: يقال في القبح رجل سؤس وعمل سوء، ورجل السوء وعمل السوء، وهو كل ما يغم الانسان، وكل ما يقبح. المسك: بكسر الميم وسكون السين الطيب المعروف . الكير: بكسر الكاف. وهو جراب من جلد ينفخ به الحداد في النار، حقيقة أو مجازاً.

يحذيك: بضم الياء وسكون الذال أي يعطيك على سبيل الهدية .
تبتاع: أي تشتري منه.

المعنى العام للحديث:

الدارس للسنة النبوية يدرك حكمة النبي وبراعته في التربية لأصحابه والتعليم لهم، وحسن سياسته واختياره أفضل وسائل الايضاح وألوان التشويق، ولقد كان صلى الله عليه وسلم وبحق أفضل معلم بشري عرفه وجه الأرض، وأقر بذلك كل منصف وإن كان عدواً لهذا الدين، ومن الوسائل التي استخدمها في تربيته لأصحابه تقريب المراد إلى الأفهام، وإبراز المعنوي

المعقول في صورة المحسوس والواقع الملموس، وقد تعددت وسائله الايضاحية، وتقريب المعاني إلى الأذهان، فاستخدم الرسم والخط، كما استخدم الإشارة والوصف باليد. كقوله كما في الصحيح : أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بالسبابة والتي تليها. وقوله: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه، ومن هذه الوسائل أيضاً التشبيه وضرب الأمثال، وإن كان الغرض من ذلك التوضيح وتقريب المراد إلى الأذهان، فتستقر المعاني ويدرك المراد، فله فوائد أخرى فيعد ضرب الأمثال من أهم الأساليب في عملية التربية والتعليم، لما له من تأثير إيجابي في العواطف والمشاعر فهو أسلوب محبب إلى النفوس، وهو وسيلة من وسائل التربية عن طريق إبراز القدوة الحسنة والحث على الاقتداء بها. وهو وسيلة اقناعية بالترغيب في الحق وتحسينه، والترهيب من الباطن وبيان قبحه.

وحديثنا هذا ضرب فيه النبي ﷺ المثل للجلس الصالح بحامل المسك بجامع النفع في كل، مع طيب ريحه وعزة وجوده، ثم رغب في مجالسته بذكر ما يعود عليه من نفع، فالجلس الصالح إما أن يتبادل مع جلسه ما يعود عليهما بخير الدنيا والآخرة، وهو المشار إليه بقوله (تبتاع) وإما أن يكون النصح والإرشاد من جانب الجليس الصالح، فهو يشبه اتحاف حامل المسك جلسه شيئاً من مسكه على سبيل الهدية، وهو المشار إليه بقوله (أن يحذيك) وإما أن لا يكون لا هذا ولا ذاك لكن ينتفع صاحب الجليس الصالح بحال جلسه، فيقتفي أثره في صلاحه أو ينكف عن المعاصي رعاية للصحة.

ومثل للجلس السوء بكير الحداد، وهو لا يصلح إلا لإضرار النار، وزيادة تسعيرها، وحذر منه ببيان مساوئه، فنافخ الكير إما أن يحرق ثيابه، وإن سلم ثيابه لا تسلم نفسك من الضيق بما تجده من ريحه، وكذلك جلس إما

أن يحرق ثياب دينك ويوقعك في المعاصي، أو ينتشر صيتك بالقبح والسوء، فلا يسلم عرضك، فتخسر ثقة الناس بك.

ومما يزيد المسلم ترغيباً في مجالسة ومصاحبتهم ومحبتهم، أن يعلم أن محبتهم ثمرة من ثمار محبته لربه، فلو صدقت محبته لربه لأحب ما يحبه ربه ومن يحب، ويحصل بمحبته للصالحين رضا الله تعالى، وظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ثم المرء مع من أحب كما قال صلى الله عليه وسلم .

ومصاحبتهم نافعة في الدنيا والآخرة، فمجالسهم حماية من السوء، لأنها خالية من المعاصي، ثم فإن الله يقول لملائكته عن هؤلاء الصالحين وقت ذكرهم له: أشهدكم يا ملائكتي أنني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال فيقول: هم الجلساء لا يشقى جلسهم. والحديث في الصحيحين.

ومن نفعهم أنهم إذا رأوا فيه اعوجاجاً قوموه، أو غيباً ستروه، وإن استأمنهم على مال أو سر حفظوه، ولا يحرمه الله بركة دعائهم حال حياته وبعد مماته، وقمة النفع حاصل في الآخرة شفاعة المحسنين للمسيئين، قائلين ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صدورهم على النار. متفق عليه .

كمت يزيد في التحذير من مجالسة أهل السوء والشر من أهل الفسوق والعصيان وأهل البدع والضلال، أن يعلم العبد أن مجالستهم فضلاً عن صحبتهم تفسد الطباع السليمة، وتذهب الدين والفضيلة؛ فالمجاورة مؤثرة ولو كانت لغير عاقل، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: والفخر والخيلاء الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم، وغذا كان كل إناء ينضح بما فيه، وكل ينفق مما عنده، فماذا عند أهل الشر إلا الشر، يدعون إليه ويرغبون فيه، وإن لم يفعلوا فالإنسان مدني بطبعه يؤثر في غيره ويتأثر به، والأخلاق

تعدي والطباع تسري، ورضي الله عن عمر قال : فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، وإن لم يكن في مجالستهم إلى رؤية المنكر فيهون وقعه على القلب يوماً بعد يوم لكان كافياً. وحذر غير واحد من السلف من مجالسة أهل البدع.

وقال ﷺ: (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي) أخرجه أبوداود والترمذي.

ونهى عن مؤاكلة غير التقي، لأن المطاعمة توجب الألفة، وتؤدي على المخالطة. بل هي أوثق عراها.

ما يستفاد من الحديث :

- ١ - النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين أو الدنيا.
- ٢ - الترغيب في مجالسة من تنفع مجالسته فيهما.
- ٣ - الحرص على تخير الرفقاء فالصاحب صاحب.
- ٤ - ضرب الأمثال لتقريب المعاني، وتوضيح ما خفي فهمه.
- ٥ - جواز العمل بالقياس في الأحكام الشرعية.
- ٦ - طهارة المسك وجواز بيعه خلافاً لمن شذ.

الحديث الثالث عشر

نبشیر من فعل خیرا والثناء علیه

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «عَبْدُ خَيْرِهِ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةُ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى، فَقَالَ: قَدَيْنَاكَ يَا أَبَانَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامُ، لَا تُبَغِّينَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةً إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»^١.

التعريف براوي الحديث:

أَبِي سَعِيدٍ

أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ، الْخَزْرَجِيُّ، الْإِمَامُ، الْمَجَاهِدُ، مُفْتِي الْمَدِينَةِ. مشهور باسمه وكنيته.

حَدَّثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَكْثَرَ، وَأَطَابَ، وَعَنْ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَطَائِفَةٍ. وَكَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ. وَكَانَ يُحْفِي شَارِبَهُ وَيَصْقِرُ لِحْيَتَهُ.

وهو أحد المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ فقد روى له بقيُّ بْنُ مَخْلَدٍ في (مُسْنَدِهِ الْكَبِيرِ): أَلْفَ حَدِيثٍ وَمِائَةً وَسَبْعِينَ حَدِيثًا. بِالْمَكْرَرِ.

اسْتَشْهَدَ أَبُوهُ مَالِكُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشَهِدَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَنْدَقَ، وَبَيْعَةَ الرُّضْوَانِ. بَلْ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَكَانَ مِنْ نَجَبَاءِ الْأَنْصَارِ وَعِلْمَائِهِمْ وَفَضْلَائِهِمْ.

^١ - صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج ٤/ ص ١٨٥٤ / ح رقم ٢٣٨٢. ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْكُنُ الْمَدِينَةَ، وَبِهَا تُؤْفَى يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَنَةٌ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ، وَلَهُ عَقَبٌ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً عَلَى الرَّاجِحِ. ومما أثر عنه رضي الله عنه من الوصايا قوله: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رُوحُكَ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ، وَعَلَيْكَ بِالصَّغْتِ إِلَّا فِي حَقٍّ، فَإِنَّكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ.

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

عَبْدٌ خَيْرُهُ اللَّهُ: هو رسول الله ﷺ كما فسره أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الحديث بقوله: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وهي إشارة إلى قرب أجل النبي ﷺ لذلك حزن أبو بكر رضي الله عنه وبكى. زَهْرَةُ الدُّنْيَا: والمُرَادُ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا نَعِيمَهَا وَأَعْرَاضُهَا وَحُدُودُهَا، وَشَبَّهَهَا بِزَهْرَةِ الرَّوْضِ لِحُسْنِهِ.

فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى: هكذا هو في جميع النسخ ، وَمَعْنَاهُ بَكَى كَثِيرًا، ثُمَّ بَكَى.

فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا: دَلِيلٌ لِحَوَازِ التَّفْدِيَةِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلِمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ الْعَبْدُ الْمُخَيَّرُ، فَبَكَى حُزْنًا عَلَى فِرَاقِهِ، وَانْقِطَاعِ الْوَحْيِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْخَيْرِ دَائِمًا.

إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ: (أَمَّنَ) أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ مِنَ الْمَنْ بِمَعْنَى الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ، بِمَعْنَى: إِنَّ أَبْدَلَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ وَمَالِهِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ أَكْثَرُهُمْ جُودًا وَسَمَاحَةً لَنَا بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْمَنْ الَّذِي هُوَ الْإِعْتِدَادُ بِالصَّنِيعَةِ ؛ لِأَنَّهُ أَدَّى مُبْطِلَ لِلنَّوَابِ، وَلِأَنَّ الْمِنَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ فِي قَبُولِ ذَلِكَ، وَفِي غَيْرِهِ.

وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا: أَصْلُ الْخُلَّةِ الْإِفْتِقَارُ وَالْإِنْقِطَاعُ، فَخَلِيلُ اللَّهِ الْمُنْقَطِعُ إِلَيْهِ. وَقِيلَ: لِقَصْرِ حَاجَتِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقِيلَ: الْخُلَّةُ الْإِخْتِصَاصُ، وَقِيلَ: الْإِصْطِفَاءُ، وَسُمِّيَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا لِأَنَّهُ وَالَى فِي اللَّهِ تَعَالَى، وَعَادَى فِيهِ.

وَقِيلَ: سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ تَخَلَّقَ بِخِلَالِ حَسَنَةٍ، وَأَخْلَقَ كَرِيمَةً، وَخُلَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ نَصْرُهُ وَجَعْلُهُ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ.

وَقِيلَ: الْخُلَّةُ صَفَاءُ الْمَوَدَّةِ بِتَخَلُّلِ الْأَسْرَارِ. وَقِيلَ: أَصْلُهَا الْمَحَبَّةُ، وَمَعْنَاهُ الْإِسْعَافُ وَالْإِلْطَافُ، وَقِيلَ: الْخَلِيلُ مَنْ لَا يَتَّسِعُ قَلْبُهُ لِغَيْرِ خَلِيلِهِ. وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ حُبَّ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعًا لِغَيْرِهِ.

لَا تُبَقِّينَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةً إِلَّا خَوْخَةً أَبِي بَكْرٍ: الْخَوْخَةُ بَفَتْحِ الْخَاءِ، وَاحِدَةُ الْخَوْخِ. وَالْخَوْخَةُ: كَوَّةُ أَيْ طَاقَةٌ فِي الْبَيْتِ تَوْدِي إِلَيْهِ الضَّوْءَ. وَالْخَوْخَةُ: مُخْتَرَقُ مَا بَيْنَ كُلِّ دَارَيْنِ لَمْ يُنْصَبْ عَلَيْهَا بَابٌ، وَقِيلَ: هِيَ الْبَابُ الصَّغِيرُ بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ أَوْ الدَّارَيْنِ، وَنَحْوَهُ، وَلَا يُشْتَرَطُ غُلُوقُهَا، وَحَيْثُ تَكُونُ سُفْلَى يُمَكِّنُ الْإِسْتِطْرَاقَ مِنْهَا لِاسْتِقْرَابِ الْوُضُوءِ إِلَى مَكَانٍ مَطْلُوبٍ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ هُنَا، وَلِهَذَا أُطْلِقَ عَلَيْهَا بَابٌ، وَقِيلَ: لَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا بَابٌ إِلَّا إِذَا كَانَتْ تُغْلَقُ.

المعنى العام للحديث:

هذا حديث شريف في بيان فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وذكر منزلته عند النبي ﷺ ، بل عند بقية الصحابة حيث جاء في الحديث ما يدل على تفضيل الصحابة أنفسهم لأبي بكر الصديق ﷺ في قولهم: (وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا). ذلك أن أبا بكر الصديق ﷺ قد واسا النبي ﷺ بما استحق به هذه المنزلة والمكانة، ووقع بيان ذلك في حديث آخر جاء فيه قول النبي ﷺ : واساني بنفسه وماله، وأنكحني ابنته وأعتق بلالاً وهاجر ببنيته.

وجاءَ عَن عائِشَةَ مقدارَ المالِ الَّذي أنفقَهُ أبو بَكر، فرَوى ابنُ حَبَّانَ مِن طَريقِ هِشامِ بنِ عُرْوَةَ، عَن أبيهِ، عَن عائِشَةَ أَنَّها قالَت: أنفقَ أبو بَكر عَلى النَّبِيِّ ﷺ أربَعمِئَ ألفَ دِرْهَمٍ ، لَذا جاءَ هذا الحديثُ وغيره دالا على استحبابِ تبشِيرِ من فَعَلَ خيراً والثناءَ عليه.

فقه الحديث:

في الحديث مسائل عدة منها ما يلي:

(١) قال القاضي عياض : وَجَاءَ فِي أَحَادِيثَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : " أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ " فَأَخْتَلَفَ الْمُتَكَلِّمُونَ هَلِ الْمَحَبَّةُ أَرْفَعُ مِنَ الْخُلَّةِ، أَمْ الْخُلَّةُ أَرْفَعُ؟ أَمْ هُمَا سَوَاءٌ؟ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : هُمَا بِمَعْنَى، فَلَا يَكُونُ الْحَبِيبُ إِلَّا خَلِيلًا، وَلَا يَكُونُ الْخَلِيلُ إِلَّا حَبِيبًا.

وَقِيلَ : الْحَبِيبُ أَرْفَعُ، لِأَنَّهَا صِفَةُ نَبِينَا ﷺ وَقِيلَ : الْخَلِيلُ أَرْفَعُ، وَقَدْ ثَبَتَتْ خُلَّةُ نَبِينَا ﷺ لِلَّهِ تَعَالَى بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَنَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ خَلِيلٌ غَيْرُهُ، وَأُثْبِتَتْ مَحَبَّتُهُ لِخَدِيجَةَ، وَعَائِشَةَ وَأَبِيهَا، وَأَسَامَةَ وَأَبِيهِ، وَفَاطِمَةَ وَابْنَيْهَا، وَغَيْرِهِمْ فَتَحَقَّقَ الْمَعْنَى بَيْنَهُمَا.

وَمَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ: تَمْكِينُهُ مِنْ طَاعَتِهِ، وَعِصْمَتِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَتَيْسِيرِ أَلْطَافِهِ، وَهِدَايَتِهِ، وَإِفَاضَةِ رَحْمَتِهِ عَلَيْهِ. هَذِهِ مَبَادِئُهَا، وَأَمَّا غَايَتُهَا فَكَشْفُ الْحُجُبِ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى يَرَاهُ بِبَصِيرَتِهِ، فَيَكُونُ كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : " فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ .. " إِلَى آخِرِهِ.

(٢) فِيهِ إِشْكَالٌ، فَإِنَّ الْخُلَّةَ أَفْضَلُ مِنَ أُخُوَّةِ الْإِسْلَامِ لِأَنَّهَا تَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ وَزِيَادَةً، فَقِيلَ الْمُرَادُ أَنَّ مَوَدَّةَ الْإِسْلَامِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَفْضُلُ مِنْ مَوَدَّتِهِ مَعَ غَيْرِهِ.

وَقِيلَ : أَفْضَلُ بِمَعْنَى فَاضِلٍ، وَلَا يُعَكِّرُ عَلَى ذَلِكَ اشْتِرَاكَ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ فِي هَذِهِ الْفَضِيلَةِ لِأَنَّ رُجْحَانَ أَبِي بَكْرٍ عُرِفَ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَأُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ

ومودته متفاوتة بين المسلمين في نصر الدين وإعلاء كلمة الحق وتحصيل كثرة الثواب، ولأبي بكر من ذلك أعظمه وأكثره، والله أعلم.

(٣) مسألة تفضيل الصحابة بعضهم على بعض، فقد ذهب فريق إلى الإمساك عن هذا، وأنه لا يفضل بعضهم على بعض، وقالوا: هم كالأصابع في الكف، فلا ينبغي أن نتعرض للتفضيل بينهم.

وقال فريق آخر بالتفضيل، واختلفوا فيه اختلافاً كثيراً. فالخطابية تفضل عمر بن الخطاب، والراوندية تفضل العباس، والشيعية تفضل علياً، وأهل السنة تفضل أبا بكر - رضى الله عنهم.

والحق أن الفضل مرتب في الأربعة على حسب ترتيبهم في الإمامة، وهو المشهور عن مالك وسفيان، وكافة أئمة الحديث والفقهاء، وكثير من المتكلمين.

ونرى الكف عن إطالة الخلاف في ذلك. فقد يكون من يظهر لنا أنه أفضل من غيره ذلك الغير عند الله أفضل منه، والله أعلم.

(٤) قول أبي بكر: " فدينك بآبائنا وأمهاتنا " وبكاؤه، فيه جواز قول الرجل لآخر: " فديتك بأبي وأمي ". وقد كره ذلك الحسن وعمر وبعض السلف، وقال بعضهم: لا يفتدى أحد بمسلم، وأجازه غيرهم، وهو الذي اختاره الطبري.

(٥) قال الخطابي وابن بطال وغيرهما: في هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبي بكر، وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه للخلافة، ولا سيما وقد ثبت أن ذلك كان في آخر حياة النبي ﷺ في الوقت الذي أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلا أبو بكر.

وقد ادعى بعضهم أن الباب . أي الخوخة . كناية عن الخلافة والأمر بالسد كناية عن طلبها كأنه قال: لا يطلب أحد الخلافة إلا أبا بكر فإنه لا حرج عليه في طلبها، وإلى هذا جنح ابن حبان، وقوى بعضهم ذلك بأن

مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ كَانَ بِالسُّنْحِ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ فَلَا يَكُونُ لَهُ خَوْخَةٌ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَهَذَا الْإِسْنَادُ ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ مَنْزِلِهِ كَانَ بِالسُّنْحِ أَنْ لَا يَكُونُ لَهُ دَارٌ مُجَاوِرَةٌ لِلْمَسْجِدِ، وَمَنْزِلُهُ الَّذِي كَانَ بِالسُّنْحِ هُوَ مَنْزِلُ أَصْهَارِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَقَدْ كَانَ لَهُ إِذْ ذَلِكَ زَوْجَةٌ أُخْرَى وَهِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ بِالِاتِّفَاقِ وَأُمُّ رُومَانَ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا كَانَتْ بَاقِيَةً يَوْمَئِذٍ.

وَقَدْ تَعَقَّبَ الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ كَلَامَ ابْنِ حِبَّانَ فَقَالَ : وَقَدْ ذَكَرَ عُمرُ بْنُ شَبَّابَةَ فِي أَخْبَارِ الْمَدِينَةِ أَنَّ دَارَ أَبِي بَكْرٍ الَّتِي أُذِنَ لَهُ فِي إِبْقَاءِ الْخَوْخَةِ مِنْهَا إِلَى الْمَسْجِدِ كَانَتْ مُلَاصِقَةً لِلْمَسْجِدِ وَلَمْ تَزَلْ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى احتَاجَ إِلَى شَيْءٍ يُعْطِيهِ لِبَعْضٍ مِنْ وَفْدٍ عَلَيْهِ فَبَاعَهَا فَاشْتَرَتْهَا مِنْهُ حَفْصَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَلَمْ تَزَلْ بِيَدِهَا إِلَى أَنْ أَرَادُوا تَوْسِيعَ الْمَسْجِدِ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ فَطَلَبُوهَا مِنْهَا لِيُوسِعُوا بِهَا الْمَسْجِدَ فَامْتَنَعَتْ وَقَالَتْ : كَيْفَ بِطَرِيقِي إِلَى الْمَسْجِدِ؟ فَقِيلَ لَهَا نُعْطِيكَ دَارًا أَوْسَعَ مِنْهَا وَنَجْعَلَ لَكَ طَرِيقًا مِثْلَهَا، فَسَلِمَتْ وَرَضِيَتْ.

ما يستفاد من الحديث:

- ١ - فِيهِ فَضِيلَةٌ وَخَصِيصَةٌ ظَاهِرَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَأَنَّهُ كَانَ مُتَأَهِّلًا لِأَنْ يَتَّخِذَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَلِيلًا لَوْلَا الْمَنَاعُ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُ. يَعْنِي امْتِلَاءُ قَلْبِهِ ﷺ بِاللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ دُونَ أَحَدٍ سِوَاهُ.
- ٢ - وَفِيهِ أَنَّ لِلْخَلِيلِ بِشْكَلٍ عَامٍ صِفَةً خَاصَّةً تَقْتَضِي عَدَمَ الْمُشَارَكَةِ فِيهَا.
- ٣ - وَفِيهِ أَنَّ الْمَسَاجِدَ تُصَانُ عَنْ تَطَرُّقِ النَّاسِ إِلَيْهَا فِي خَوْخَاتٍ وَنَحْوِهَا إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا إِلَّا لِحَاجَةٍ مُهِمَّةٍ .
- ٤ - وَفِيهِ جَوَازُ الْإِشَارَةِ بِالْعِلْمِ الْخَاصِّ دُونَ التَّصْرِيحِ لِإِثَارَةِ أَفْهَامِ السَّامِعِينَ.

- ٥ - وَفِيهِ بَيَانٌ تَفَاوُتِ الْعُلَمَاءِ فِي الْفَهْمِ وَأَنَّ مَنْ كَانَ أَرْفَعَ فِي الْفَهْمِ اسْتَحَقَّ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ أَعْلَمُ.
- ٦ - وَفِيهِ التَّرْغِيبُ فِي اخْتِيَارِ مَا فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَا فِي الدُّنْيَا.
- ٧ - وَفِيهِ شُكْرُ الْمُحْسِنِ وَالتَّنْوِيهِ بِفَضْلِهِ وَالشَّنَاءُ عَلَيْهِ.
- ٨ - وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ فِيهِ أَنَّ الْمُرْشَحَ لِلْإِمَامَةِ يُخَصُّ بِكَرَامَةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ كَمَا وَقَعَ فِي حَقِّ الصِّدِّيقِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ.

الحديث الرابع عشر

تبشير من فعل خيرا والثناء عليه

روى الإمام أحمد بن حنبل من حديث عبد الله بن عمر قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ زَادَ بَيْتًا فِي الْمَسْجِدِ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، قَالَ: فَفَعَلَ ذَلِكَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ، غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا عُثْمَانُ»^١.

التعريف براوي الحديث:

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلٍ، الْإِمَامُ، الْقُدُّوَّةُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ، الْعَدَوِيُّ، الْمَكِّيُّ، ثُمَّ الْمَدَنِيُّ. أَسْلَمَ وَهُوَ صَغِيرٌ، ثُمَّ هَاجَرَ مَعَ أَبِيهِ لَمْ يَحْتَلِمْ، وَاسْتُصْغِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَوَّلُ غَزَوَاتِهِ الْخَنْدَقُ، وَهُوَ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ. وَأُمُّهُ وَأُمُّ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ: زَيْنَبُ بِنْتُ مِطْعُونٍ؛ أُخْتُ عُثْمَانَ بْنِ مِطْعُونٍ الْجُمَحِيِّ. رَوَى: عِلْمًا كَثِيرًا نَافِعًا عَنْ: النَّبِيِّ ﷺ وَعَنْ: أَبِيهِ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَغَيْرِهِمْ. وَرَوَى عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

ومما أثر عنه ما رواه ابنه سالم، عنه قال: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا، فَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكُنْتُ غُلَامًا عَزْبًا شَابًّا، فَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ فَرَأَيْتُ كَأَنَّ مَلَكَينِ أَتَيَانِي، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبُئْرِ، وَلَهَا قُرُونٌ كَقُرُونِ الْبُئْرِ، فَرَأَيْتُ فِيهَا نَاسًا قَدْ عَرَفْتُهُمْ. فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. فَلَقِينَا مَلَكًا، فَقَالَ: لَنْ تُرَاعَ. فَذَكَرْتُهَا

^١ - حديث حسن بشواهد، أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة: ج ١/ ص ٥١٨ / ح رقم ٨٥٤. ط مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

لِحَفْصَةٍ، فَقَصَّئَهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: نِعَمْ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: فَكَانَ بَعْدَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا الْقَلِيلَ.

وكان ابن عمر رضي الله عنه يتبع أمر رسول الله ﷺ وآثاره وحاله، ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك. فقد روي عن نافع، قال: لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع رسول الله ﷺ لقلت: هذا مجنون.

وعن نافع أيضاً: أن ابن عمر كان يتبع آثار رسول الله ﷺ كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصب في أصلها الماء لئلا تيبس.

ولابن عمر في (مسند بقي): ألفان وست مائة وثلاثون حديثاً بالمركر، ومات رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبعين. وقيل: سنة أربع وسبعين. والظاهر أنه توفي في آخر سنة ثلاث. وبلغ سبعا وثمانين سنة.

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

مَنْ زَادَ بَيْتًا فِي الْمَسْجِدِ: يريد من أضاف بناء للمسجد أو وسع في بنيانه بما يخدم المسلمين كما روي عنه ﷺ في موضع آخر: من وسع مسجدنا هذا بنى الله له بيتا في الجنة.

وَمَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ: المراد به جيش المسلمين في غزوة تبوك أو غزوة العُسرة كما تسمى والتي كانت في رجب من العام التاسع للهجرة، وذلك بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر، أي قبل حجة الوداع، وتعتبر غزوة تبوك آخر غزوات الرسول ﷺ، ولقد كانت أسباب تلك الغزوة أن الروم رغبوا في إنهاء القوة الإسلامية التي أخذت تهددهم في المنطقة، وقد كان عدد جيوش الروم أربعين ألف مقاتل، قابلها ثلاثون ألفاً من الجيش الإسلامي، وانتهت المعركة بلا قتال نظراً للتغيرات العسكرية التي حصلت؛ فلقد تخلى حلفاء الروم عنهم، وتحالفوا مع العرب باعتبارهم القوة الأولى في المنطقة، وبذلك تكون الغزوة قد حققت هدفها بالرغم من عدم الاشتباك

الحربي مع الروم الذين آثروا الفرار شمالاً، وهم بذلك أخلوا مواقعهم للدولة الإسلامية، حيث لبث المسلمون عشرين ليلةً في تبوك دون أن يتقدم للمواجهة أحدٌ من الروم.

مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ: معناه لَا يَضُرُّهُ الَّذِي يَعْمَلُ فِي جَمِيعِ عُمْرِهِ بَعْدَ هَذِهِ الْحَسَنَةِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهَا مُكَفِّرَةٌ لِذُنُوبِهِ الْمَاضِيَةِ مَعَ زِيَادَةِ سَيِّئَاتِهِ الْآتِيَةِ كَمَا وَرَدَ فِي ثَوَابِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ.

وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى بَشَارَةِ لَهُ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، وَقِيلَ (مَا) فِيهِ إِمَّا مَوْصُولَةٌ أَيْ مَا بَأْسَ عَلَيْهِ الَّذِي عَمِلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ بَعْدَ هَذِهِ الْعَطَايَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ أَيْ مَا عَلَى عُثْمَانَ عَمَلٌ مِنَ النَّوَافِلِ بَعْدَ هَذِهِ الْعَطَايَا لِأَنَّ تِلْكَ الْحَسَنَةَ تَتَوَّبُ عَلَى جَمِيعِ النَّوَافِلِ.

وعثمان هو ابن عفان بن أبي العاص، وُلد بعد الفيل بست سنين على الصحيح. زَوَّجَهُ النَّبِيُّ ﷺ ابنتَهُ رُقِيَّةَ، وماتت عنده أيام بدرٍ، فزوجه بعدها أختها أم كلثوم، فذلك كان يُلقب ذا النورين، وَرُوي أن علياً قالوا له: حَدِّثْنَا عَنْ عُثْمَانَ، قال: ذاك امرؤٌ يُدعى في المَلَأِ الْأَعْلَى: ذا النُّورين.

وجاء متواتراً أن النَّبِيَّ ﷺ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ، وَعَدَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وشهد له بالشهادة.

وهو أول من هاجر إلى الحبشة ومعه زوجته رقية، وتخلَّف عن بدرٍ لتمريضها، فكتب له النَّبِيُّ ﷺ بِسَهْمِهِ وَأَجْرِهِ. بُويعَ له يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وقُتِلَ يوم الجمعة لثمان عشرة خَلَّتْ من ذي الحجة بعد العصر، ودُفِنَ ليلة السبت بين المغرب والعشاء، وهو ابن اثنين وثمانين سنةً وأشهر على الصحيح المشهور.

المعنى العام للحديث:

في هذا الحديث الشريف حث لأهل العزائم والهمم العالية حتى يملؤوا الساحات وقت الشدائد ويجودوا بكل ما مَنَّ اللَّهُ عز وجل به عليهم، فهذا

جَيْشِ الْعُسْرَةِ وَهُوَ الَّذِي كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الرُّومَ قَدْ جَمَعَتْ جُمُوعًا كَثِيرَةً بِالشَّامِ، فَدَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ وَأَعْلَمَهُمُ الْمَكَانَ الَّذِي يُرِيدُ لِيَتَأَهَّبُوا لَهُ.

وَفِي هَذِهِ الْغَزَاةِ جَاءَ الْبُكَاءُونَ، وَفِيهَا تَخَلَّفَ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خَلَفُوا. وَخَرَجَ النَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، فَاشْتَدَّ بِهِمُ الْعَطَشُ حَتَّى جَعَلُوا يَنْحَرُونَ إِبْلَهُمْ فَيَعَصِرُونَ أَكْرَاشَهَا وَيَشْرَبُونَ مَاءَهَا، وَكَانَ يَرْكَبُ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ رَجُلَانِ أَوْ ثَلَاثَةً، فَكَانَتِ الْعُسْرَةُ فِي الْمَاءِ وَالظَّهْرِ وَالنَّفَقَةِ، فَسُمِّيَ جَيْشُ الْعُسْرَةِ بِمَا أَصَابَهُمْ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ حَثَّ النَّاسَ عَلَى تَجْهِيزِ هَذَا الْجَيْشِ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ، فَقَامَ عُثْمَانُ فَقَالَ: عَلَيَّ مِائَةٌ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا. ثُمَّ حَضَّ فَقَامَ عُثْمَانُ فَقَالَ: عَلَيَّ مِائَةٌ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا، ثُمَّ حَضَّ فَقَامَ فَقَالَ كَذَلِكَ.

وَفِي حَدِيثٍ أَنَّ عُثْمَانَ جَاءَ يَوْمَئِذٍ بِأَلْفٍ دِينَارٍ فِي ثَوْبِهِ، فَصَبَهَا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْلِبُهَا وَيَقُولُ: " مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ هَذَا"، وَهَذَا الصَّنِيعُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ دَلِيلُ شُكْرِ وَمُودَةٍ وَثَنَاءٍ عَلَى كُلِّ مَنْ فَعَلَ خَيْرًا أَوْ سَاهَمَ فِيهِ.

فقه الحديث:

المسألة الأولى: إنفاق المال للمساهمة في بناء المساجد يُعد من أعظم القربات، فقد أثنى الله سبحانه على من يعمر مساجده فقال: إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ.

وعِمارة المساجد سواء بإقامتها، أو ترميمها وتعاهدتها وصيانتها، يدخل في الصدقة الجارية التي يمتد نفعها لصاحبها بعد موته، وفي الصحيحين أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ.

المسألة الثانية: الإنفاق أو التبرع للدفاع عن الأوطان وتجهيز الجيوش لرد العدوان وهو ما يعرف في ديننا الحنيف بالجهاد في سبيل الله فهو أمر يحتاج إلى مال وفير وعدة وعتاد لتجهيز الجيوش المنظمة بأمر القائمين على شئون البلاد لمقاتلة الأعداء، ورد كيدهم، ودفع أذاهم عن المسلمين؛ بل عن الوطن بشكل أعم يشمل حماية الدين، والأعراض، والأرواح، والممتلكات، والأوطان.

فلا مانع يمنع من المساهمة والإنفاق في هذا الباب بل هو من أهم وأكد الأبواب التي ينفق فيها الإنسان ماله في سبيل الله تعالى. وأكبر دليل على مشروعية ذلك أن التبرعات استمرت بعد وفاة رسول الله ﷺ للجهاد في سبيل الله لرفع راية الإسلام في كل مكان.

ما يستفاد من الحديث:

- ١- في الحديث بيان فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه وذكر أهم مناقبه.
- ٢- وفيه بيان فضل الصدقة والإنفاق في سبيل الله تعالى.
- ٣- وفيه بيان فضل بناء المساجد وتوسعتها وتعهدها وصيانتها.
- ٤- وفيه الحث على شكر المحسن والثناء عليه بما يستحقه.
- ٥- وفيه إشارة لطيفة إلى أن ننقل بتبرعاتنا ومساهماتنا من الرؤية الضيقة وهي الإحسان إلى المحتاجين والفقراء إلى التنمية الشاملة للمجتمع.

الحديث الخامس عشر

التربية على الاستغفار والاستغناء عن الناس بالعمل

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعِنْ يُعِنْهُ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^١.

التعريف براوي الحديث:

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ تقدمت ترجمته في الحديث الثالث عشر.

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ: يريد جماعة من الأنصار هكذا على الإبهام دون ذكر أسمائهم، وإن كان ورد في بعض الروايات كما عند النسائي والطبراني وغيرهما ما يدل على بعض الأسماء بعينها كأبي سعيد الخدري راو هذا الحديث، وحكيم بن حزام، كما في الحديث الذي يلي هذا الحديث، لكن عليه اعتراض، والعبرة في مثل هذا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ: بِكَسْرِ الْفَاءِ وَبِالْدَالِ الْمُهِمْلَةِ، أَي: فَرِغَ وَفَنِي.

مَا يَكُونُ: كلمة ما، فِيهِ مَوْصُولَةٌ مُتَضَمِّنَةٌ لِمَعْنَى الشَّرْطِ.

فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ: جَوَابُ الشَّرْطِ، وَمَعْنَاهُ لَنْ أَجْعَلَهُ ذَخِيرَةً لَكُمْ مَعْرُضًا عَنْكُمْ، أَوْ: لَنْ أَحْبِسُهُ وَأَخْبِئُهُ وَأَمْنَعُكُمْ إِيَّاهُ مُنْقَرِدًا بِهِ عَنْكُمْ.

^١ - صحيح البخاري: كتاب الزكاة، بَابُ الْإِسْتِغْفَارِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، ج ٢/ص ١٢٢/ ح رقم

١٤٦٩. ط السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ: مَنْ طَلَبَ الْعِفَّةَ عَنِ السُّؤَالِ.
يُعْفُهُ اللَّهُ: أَيِ يَرْزُقُهُ اللَّهُ الْعِفَّةَ، وَهِيَ الْكَفَّ عَنِ الْحَرَامِ وَالسُّؤَالِ مِنَ النَّاسِ.
يَقَالُ: عَفَّ يَعْفُ عَفَةً فَهُوَ عَفِيفٌ. وَقِيلَ: يَغْنِي مَنْ قَنَعَ بِأَدْنَى قُوْتٍ وَتَرَكَ
السُّؤَالَ تَسْهُلَ عَلَيْهِ الْقَنَاعَةَ وَهِيَ كُنْزٌ لَا يَفْنَى.
وَمَنْ يَسْتَعْنِ: أَيِ يُظْهِرُ الْغِنَى بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالتَّعَفُّفِ عَنِ
السُّؤَالِ حَتَّى يَحْسَبَهُ الْجَاهِلُ غَنِيًّا مِنَ التَّعَفُّفِ.
يُغْنِيهِ اللَّهُ: يَرْزُقُهُ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ.
وَمَنْ يَتَصَبَّرْ: مَنْ يَعَالِجُ الصَّبْرَ، وَهُوَ مَا بَابُ: التَّفْعُلُ، فِيهِ مَعْنَى التَّكْلُفِ.
يُصْبِرُهُ اللَّهُ: يَرْزُقُهُ اللَّهُ صَبْرًا وَهُوَ مِنْ بَابِ: التَّفْعِيلِ.
وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ: ذَلِكَ لِأَنَّهُ جَامِعٌ لِمَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ عَلَى مَا لَا يَخْفَى.

المعنى العام للحديث:

هذا حديث شريف يشتمل على هدي نبوي شريف للأمة جميعا وهو
الاستغفار عن المسألة وعدم الاستدلال بطلب ما في أيدي الناس وذلك
بالعمل والجد في طلب الرزق الحلال استغفارا عن مذلة السؤال، فهذا هو
الحديث يحكي دخول جماعة من الناس على رسول الله ﷺ يسألونه شيئا ،
والرسول ﷺ وهو الرؤف الرحيم لم يمنعهم بل أعطاهم إياه ثم سألوهم فأعطاهم
حتى فني ما عنده ﷺ فاعتذر منهم بلطف جميل وراح يحثهم على العفة
والرضا ولو بأدنى قوتٍ وترك السؤال لما فيه من المرارة والمهانة ، فالقناعة
كنزٌ لا يفنى " وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يَعْنِي يَأْمُرْ نَفْسَهُ بِالصَّبْرِ
وَيَتَكَلَّفُ فِي التَّحَمُّلِ عَنْ مَشَاقِقِهِ، أَوْ مَنْ يَتَصَبَّرْ عَنِ السُّؤَالِ وَالتَّطَلُّعِ إِلَى مَا
فِي أَيْدِي النَّاسِ بَأَنْ يَتَجَرَّعَ مَرَارَةً ذَلِكَ، وَلَا يَشْكُو حَالَهُ لِغَيْرِ رَبِّهِ يُصْبِرُهُ اللَّهُ .

فقه الحديث:

في هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَقْهِ مَسَائِلُ مُتَعَدِّدَةٌ مِنْهَا:

- جَوَازُ إِعْطَاءِ السَّائِلِ مَرَّتَيْنِ مِنْ مَالٍ وَاحِدٍ.
- وَفِيهِ حُجَّةٌ لِمَنْ قَالَ: يُعْطَى الْفَقِيرُ . وَهُوَ شَخْصٌ وَاحِدٌ . بِاسْمِ الْفَقْرِ ،
وَبِاسْمِ ابْنِ السَّبِيلِ مِنْ مَالٍ وَاحِدٍ ، فَكَذَلِكَ سَائِرُ سِهَامِ الصَّدَقَاتِ .

ما يستفاد من الحديث:

- ١- بَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ السَّخَاءِ وَالْكَرَمِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى إِنْفَاقِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ كَثِيرًا مَا يُعْطِي مِنْ سَهْمِهِ وَصَمِيمِ مَالِهِ.
- ٢- جَوَازُ إِعْطَاءِ السَّائِلِ مَرَّتَيْنِ ، وَالِاعْتِدَارُ إِلَى السَّائِلِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَا يُعْطِيهِ ، وَالْحِصْصُ عَلَى التَّعَقُّفِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ بِالصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَانْتِظَارِ رِزْقِ اللَّهِ وَذَلِكَ أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَهِ الْمُؤْمِنُ.
- ٣- جَوَازُ السُّؤَالِ لِلْحَاجَةِ وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَى تَرْكُهُ وَالصَّبْرُ حَتَّى يَأْتِيَهُ رِزْقُهُ بِغَيْرِ مَسْأَلَةٍ.

الحديث السادس عشر

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث حَكِيم بن حِرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصْرَةٌ خُلُوءٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرُؤُا أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرُؤُا حَكِيمًا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُؤْفَى^١.

التعريف براوي الحديث:

حَكِيم بن حِرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
حَكِيم بن حِرَامٍ بن خُوَيْلِدٍ ابنِ عَبْدِ الْعَزَى، أَبُو خَالِدٍ الْقُرَشِيُّ الْأَسَدِيُّ. أَسْلَمَ
يَوْمَ الْفَتْحِ، وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ. وَغَزَا حُنَيْنًا وَالطَّائِفَ. وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ،
وَعُقْلَائِهَا، وَتُبْلَائِهَا. وَكَانَ عَلَامَةً بِالنَّسَبِ، فَقِيَّةَ النَّفْسِ، كَبِيرَ الشَّانِ.
وَكَانَتْ خَدِيجَةُ عَمَّتُهُ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمِّهِ. وَقَالَ أَحْمَدُ بنُ الْبَرْقِيِّ: كَانَ
مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ، أَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ مِائَةَ بَعِيرٍ .
وفي باب الرواية بلغ عَدَدُ مُسَنِّدِهِ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا. لَهُ فِي (الصَّحِيحَيْنِ)
أَرْبَعَةُ أَحَادِيثٍ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا .

١ - صحيح البخاري: كتاب الزكاة، بابُ الإِسْتِغْفَافِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، ج ٢/ ص ١٢٣ / ح رقم

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ: عَاشَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَوُلِدَ قَبْلَ عَامِ الْفِيلِ بِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي (تَارِيخِهِ) : عَاشَ سِتِّينَ سَنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَسِتِّينَ فِي الْإِسْلَامِ. قَالَ الذَّهَبِيُّ مُتَعَقِبًا : لَمْ يَعِشْ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا بَضْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَمَاتَ ﷺ: سَنَةً أَرْبَعَ وَخَمْسِينَ. وَمَاتَ حِينَ مَاتَ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا.

قلت: ومن أجمل ما أثر عن حَكِيم بن حَزَامٍ رضي الله عنه قوله : مَا أَضْبَحْتُ وَلَيْسَ بِيَابِي صَاحِبُ حَاجَةٍ، إِلَّا عَلِمْتُ أَنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَسْأَلُ اللَّهَ الْأَجَرَ عَلَيْهَا.

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ خُلُوةٌ: قَوْلُهُ: (خَضِرَةٌ) ، التَّأْنِيثُ إِمَّا بِاعْتِبَارِ الْأَنْوَاعِ أَوْ الصُّورَةِ أَوْ تَقْدِيرِهِ، كَالْفَاكِهَةِ الْخَضِرَةِ الْحُلُوةِ، شَبَّهَ الْمَالَ فِي الرَّغْبَةِ فِيهِ بِهَا فَإِنَّ الْأَخْضَرَ مَرْغُوبٌ مِنْ حَيْثُ النَّظَرُ، وَالْحُلُو مِنْ حَيْثُ الذَّوْقُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا زَادَا فِي الرَّغْبَةِ، حَاصِلُهُ أَنَّ التَّشْبِيهَ فِي الرَّغْبَةِ فِيهِ وَالْمِيلَ إِلَيْهِ وَحِرْصَ النَّفُوسِ عَلَيْهِ بِالْفَاكِهَةِ الْخَضِرَاءِ الْمُسْتَلَذَةِ، فَإِنَّ الْأَخْضَرَ مَرْغُوبٌ فِيهِ عَلَى انْفِرَادِهِ، وَالْحُلُو كَذَلِكَ عَلَى انْفِرَادِهِ، فَاجْتِمَاعُهُمَا أَشَدُّ، وَفِيهِ أَيْضًا إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ بَقَائِهِ لِأَنَّ الْخَضِرَاوَاتِ لَا تَبْقَى وَلَا تَرَادُ لِلْبَقَاءِ .

فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ: فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ أَي: بِغَيْرِ شَرِّهِ وَلَا إِحْلَاحٍ، وَفِي رِوَايَةٍ: (بَطِيبُ نَفْسٍ) . فَإِنْ قُلْتُ: السَخَاوَةُ إِنَّمَا هِيَ فِي الْإِعْطَاءِ لَا فِي الْإِخْذِ. قُلْتُ: السَخَاوَةُ فِي الْأَصْلِ السَّهْوَةُ، وَالسَّعَةِ. قَالَ الْقَاضِي: فِيهِ احْتِمَالَانِ: أَظْهَرُهُمَا أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى الْإِخْذِ، أَي مِنْ أَخْذِهِ بِغَيْرِ حِرْصٍ وَطَمَعٍ وَإِشْرَافٍ عَلَيْهِ، وَالثَّانِي: إِلَى الدَّافِعِ، أَي: مَنْ أَخَذَهُ مِمَّنْ يَدْفَعُهُ مُنْشَرِحًا يَدْفَعُهُ طِيبُ النَّفْسِ لَهُ.

وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ: الإِشْرَافُ عَلَى الشَّيْءِ: الإِطْلَاعُ عَلَيْهِ والتَّعَرُّضُ لَهُ، وَقِيلَ: معنى إِشْرَافِ نَفْسٍ أَنْ المَسْئُولَ يُعْطِيهِ عَن تَكْرِهِ. وَقِيلَ: يُرِيدُ بِهِ شِدَّةَ حِرْصِ السَّائِلِ وَإِشْرَافِهِ عَلَى الْمَسْأَلَةِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِشْرَافُ النَّفْسِ تَطَلُّعُهَا إِلَيْهِ وَتَعَرُّضُهَا لَهُ وَطَمَعُهَا فِيهِ وَأَمَّا طَيْبُ النَّفْسِ فَذَكَرَ الْقَاضِي فِيهِ اِحْتِمَالَيْنِ أَظْهَرُهُمَا أَنَّهَ عَائِدٌ عَلَى الْآخِذِ وَمَعْنَاهُ مَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ سُؤَالٍ وَلَا إِشْرَافٍ وَتَطَلَّعَ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَالثَّانِي أَنَّهَ عَائِدٌ إِلَى الدَّافِعِ وَمَعْنَاهُ مَنْ أَخَذَهُ مِمَّنْ يَدْفَعُ مُنْشَرِحًا يَدْفَعُهُ إِلَيْهِ طَيْبُ النَّفْسِ لَا بِسُؤَالٍ اضْطَرَّةً إِلَيْهِ أَوْ نَحْوِهِ مِمَّا لَا تَطْيِبُ مَعَهُ نَفْسُ الدَّافِعِ.

لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ: الضَّمِيرُ فِي: لَهُ، يَرْجِعُ إِلَى الْآخِذِ، وَفِي: فِيهِ، إِلَى المَعْطَى بِفَتْحِ الطَّاءِ، وَمَعْنَاهُ: إِذْ لَمْ يَمْنَعْ نَفْسَهُ الْمَسْأَلَةَ وَلَمْ يَصْنِ مَاءَ وَجْهِهِ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهَا أَخْذٌ وَأَنْفَقَ.

كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ: فَقِيلَ هُوَ الَّذِي بِهِ دَاءٌ لَا يَشْبَعُ بِسَبَبِهِ، وَقِيلَ: كَمَنْ بِهِ الْجُوعُ الْكَاذِبُ، وَقَدْ يُسَمَّى بِجُوعِ الْكَلْبِ كُلَّمَا أَزْدَادَ أَكَلًا أَزْدَادَ جُوعًا لِأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْ سَقَمٍ كُلَّمَا أَكَلَ أَزْدَادَ سَقَمًا وَلَا يَجِدُ شَبْعًا وَيَزْعُمُ أَهْلُ الطَّبِّ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ غَلَبَةِ السَّوْدَاءِ، وَيَسْمُونَهَا: الشَّهْوَةُ الْكَلْبِيَّةُ، وَهِيَ صِفَةُ لِمَنْ يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ. قُلْتُ: الظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنْ غَلَبَةِ السَّوْدَاءِ وَشِدَّتِهَا كُلَّمَا يَنْزِلُ الطَّعَامُ فِي مَعْدَتِهِ يَحْتَرِقُ وَإِلَّا فَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَسَعَ فِي الْمَعْدَةِ أَكْثَرَ مَا يَسَعَ فِيهِ.

الْيَدُ الْعُلْيَا حَيِّزٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى: قِيلَ الْمُرَادُ مِنَ الْيَدِ الْعُلْيَا هِيَ المَتَعَفِّفَةُ ، وَالْيَدِ السُّفْلَى هِيَ الْآخِذَةُ ، لَكِنِ الْمَشْهُورُ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ المَنْفَقَةُ ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ.

لَا أَرَزَأُ: بِفَتْحِ الهمزة وَسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الزَّايِ وبِالهمزة: مَعْنَاهُ لَا أَنْقُصُ مَالَهُ بِالطَّلَبِ، وَفِي (النِّهَايَةِ) : مَا رَزَأْتَهُ أَي: مَا نَقَصْتَهُ، وَفِي رِوَايَةِ إِسْحَاقَ: (قُلْتُ: فَوَ اللَّهُ لَا تَكُونُ يَدِي بِغَدِكَ تَحْتَ يَدٍ مِنْ أَيْدِي الْعَرَبِ.

قَالَ الْكُرْمَانِي: فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ امْتَنَعَ . يَقصد حَكِيم بن حَزَام . من الْأَخْذ مُطْلَقًا وَهُوَ مَبَارَك إِذَا كَانَ بِسَعَةِ الصَّدْر مَعَ عدم الإشراف؟ قلت: مُبَالِغَةٌ فِي الْإِحْتِرَاز، إِذْ مُقْتَضَى الْجَبَلَةِ الإشراف والحرص، وَالنَّفْس سَرَاقَةٌ، والعرق دَسَاس، وَمَنْ حَام حَوْل الْحَمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ.

فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ: أَيِ فَامْتَنَعَ حَكِيم أَنْ يَقْبَلَ عَطَاءَ مَنْ أَبِي بَكْرٍ فِي الْأَوَّلِ، وَمَنْ عَمِرَ فِي الثَّانِي، وَجِهَ امْتِنَاعَهُ مِنْ أَخْذِ الْعَطَاءِ مَعَ أَنَّهُ حَقُّهُ لِأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا فَيَعْتَادُ الْأَخْذَ فَتَتَجَاوَزُ بِهِ نَفْسُهُ إِلَى مَا لَا يُرِيدُهُ، ففَطَمَهَا عَنْ ذَلِكَ وَتَرَكَ مَا يَرِيبُهُ إِلَى مَا لَا يَرِيبُهُ، وَلِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَفْعَلَ خِلَافَ مَا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : (لِأَنَّهُ قَالَ: لَا أَرُزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ) . حَتَّى رُوِيَ فِي رِوَايَةٍ: (وَلَا مِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا مِنِّي).

فَقَالَ عَمْرٌ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِنِّي أَشْهَدُكُمْ: إِنَّمَا أَشْهَدُ عَمْرًا، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، عَلَى حَكِيمٍ لِأَنَّهُ خَشِيَ سُوءَ التَّأْوِيلِ، فَأَرَادَ تَبْرِئَهُ سَاحَتِهِ بِالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ، وَأَنْ أَحَدًا لَا يَسْتَحِقُّ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بَعْدَ أَنْ يُعْطِيَهُ الْإِمَامُ إِيَّاهُ.

المعنى العام للحديث:

هذا حديث شريف يحذر من فتنة المال وشهوات الدنيا، ويحث عَلَى التَّعَفُّفِ وَالْفَنَاءَةِ وَالرِّضَا بِمَا تَبَيَّرَ فِي عَقَافٍ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا وَالْإِجْمَالِ فِي الْكَسْبِ وَأَنَّهُ لَا يَغْتَرُّ الْإِنْسَانُ بِكَثْرَةِ مَا يَحْصُلُ لَهُ بِإِشْرَافٍ وَنَحْوِهِ فَإِنَّهُ لَا يُبَارَكُ لَهُ فِيهِ.

فَمَنْ أَخَذَ الْمَالَ مِنْ حَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ فَقَدْ سَلِمَ مِنْ فِتْنَتِهِ، وَحَصَلَ عَلَى ثَوَابِهِ، مُصَدِّقٌ قَوْلُهُ ﷺ: فَمَنْ أَخَذَهُ بِطَيْبِ نَفْسٍ بَوْرِكَ فِيهِ.

فَالْحَدِيثُ فِيهِ تَنْبِيهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ بِالرِّضَا بِمَا قُسِمَ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَقَدْ ذَمَّ الْحَرَصَ وَالشَّرَّهَ إِلَى الْإِسْتِكْثَارِ مِنْ طَلَبِ الْمَالِ وَمَتَعَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ حَقِّهَا، أَلَا تَرَى أَنَّهُ شَبَّهَ فَاعِلَ ذَلِكَ بِالْبَهَائِمِ الَّتِي تَأْكُلُ وَلَا تَشْبَعُ وَهَذَا غَايَةُ الذَّمِّ لَهُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ الْكَفَّارَ بِأَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَا

يشبعون كما لا تشبع الأنعام؛ لأن الأنعام لا تأكل لإقامة أرماقها، وإنما تأكل للشره والنهم.

فينبغي للمؤمن العاقل الفهم عن الله تعالى وعن رسوله أن يتشبه بالسلف الصالح في أخذ الدنيا ولا يتشبه بالبهائم التي لا تعقل.

فقه الحديث:

أَنَّ السَّائِلَ إِذَا أَلْهَفَ لَا بَأْسَ بَرْدِهِ وَتَخْيِيْبِهِ وَمَوْعِظَتِهِ وَأَمْرِهِ بِالتَّعَفُّفِ وَتَرْكِ الْحِرْصِ عَلَى الْأَخْذِ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْأَنْصَارِ وَبِحَكِيمٍ حِينَ أَلْهَفُوا فِي مَسْأَلَتِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، كَلِمَا أَعْطَاهُمْ سَأَلُوهُ، فَأَنْجَحَ اللَّهُ مَوْعِظَتَهُ وَمَحَا بِهَا حِرْصَ حَكِيمٍ، فَلَمْ يَرِزْ أَحَدًا بَعْدَهُ.

وفيه أن من كان له عند أحد حق من تعامل أو غيره، فإنه يجبر على أخذه إذا أبى، فإن كان مما لا يستحقه أن لا يبسط اليد إليه، فلا يجبر على أخذه خلاف قول مالك، وإنما أشهد عمر على إباء حكيم، لأنه خشى سوء التأويل عليه، فأراد أن يبرئ ساحته بالإشهاد عليه.

وفيه: أنه لا يستحق أخذ شيء من بيت المال إلا بعد أن يعطيه الإمام إياه، وأما قبل ذلك فليس ذلك مستحق له، ولو كان ذلك مستحقاً لقضى على حكيم بأخذه، وعلى ذلك يدل نص القرآن قال تعالى، حين ذكر قسم الصدقات وفى أي الأصناف تقسم: (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، فإنما هو لمن أوتي لا لغيره، وإنما قال العلماء في أسباب الحقوق في بيت المال تشدداً على غير المرضى من السلاطين ليغلقوا باب الامتداد منهم إلى أموال المسلمين، والتسبب إليها بالباطل.

ما يستفاد من الحديث:

- ١ - فِيهِ: أَنَّ سُؤَالَ السُّلْطَانِ الْأَكْبَرَ لَيْسَ بِعَارٍ.
- ٢ - وَفِيهِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْأَلُ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ يَدُهُ السُّفْلَى مَعَ إِبَاحَةِ الْمَسْأَلَةِ فَهُوَ آخَرَى أَنْ يُمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ غَيْرِ الْحَاجَةِ.
- ٣ - وَفِيهِ: أَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ عِنْدَ أَحَدٍ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَخْذُهُ إِذَا أَتَى، فَإِنْ كَانَ مِمَّا لَا يَسْتَحَقُّهُ إِلَّا بِبَسْطِ الْيَدِ فَلَا يَجْبُرُ عَلَى أَخْذِهِ.
- ٤ - وَفِيهِ: مَا قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: قَدْ يَقَعُ الزَّهْدُ مَعَ الْأَخْذِ، فَإِنْ سَخَاوَةُ النَّفْسِ هُوَ زَهْدُهَا.
- ٥ - وَفِيهِ: أَنَّ الْأَخْذَ مَعَ سَخَاوَةِ النَّفْسِ يَحْصُلُ أَجْرُ الزَّهْدِ وَالْبَرَكَةِ فِي الرِّزْقِ، فَظَهَرَ أَنَّ الزَّهْدَ يَحْصُلُ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- ٦ - وَفِيهِ: ضَرْبُ الْمَثَلِ بِمَا لَا يَعْقِلُهُ السَّامِعُ مِنَ الْأَمْثَلَةِ، لِأَنَّ الْغَالِبَ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُ الْبَرَكَةَ إِلَّا فِي الشَّيْءِ الْكَثِيرِ، فَبَيْنَ بِالْمَثَلِ الْمَذْكُورِ أَنَّ الْبَرَكَةَ هِيَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَضَرْبُ لَهُمُ الْمَثَلِ بِمَا يَعْهَدُونَ بِالْأَكْلِ إِنَّمَا يُؤْكَلُ لِيَتَبَعِ فَإِذَا أَكَلَ وَلَمْ يَتَبَعِ كَانَ عَنَاءٌ فِي حَقِّهِ بِغَيْرِ فَائِدَةٍ، وَكَذَلِكَ الْمَالُ لَيْسَتْ الْفَائِدَةُ فِي عَيْنِهِ وَإِنَّمَا هِيَ لَمَّا يَتَحَصَّلُ بِهِ مِنَ الْمَنَافِعِ، فَإِذَا كَثُرَ الْمَالُ عِنْدَ الْمَرْءِ بِغَيْرِ تَحْصِيلِ مَنُفَعَةٍ كَانَ وَجُودُهُ كَالْعَدَمِ.
- ٧ - وَفِيهِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ لَا يَبِينُ لِلطَّالِبِ مَا فِي مَسْأَلَتِهِ مِنَ الْمُفْسَدَةِ إِلَّا بَعْدَ قَضَاءِ حَاجَتِهِ لِنَقِصِ مَوْعِظَتِهِ لَهُ الْمَوْقِعَ لِلَّأَمْرِ بِتَخْيِيلِ أَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِمَنْعِهِ حَاجَتِهِ.
- ٨ - وَفِيهِ: جَوَازُ تَكَرُّرِ السُّؤَالِ ثَلَاثًا. وَجَوَازُ الْمُنْعِ فِي الرَّابِعَةِ.
- ٩ - وَفِيهِ: أَنَّ رَدَّ السَّائِلِ بَعْدَ ثَلَاثٍ لَيْسَ بِمَكْرُوهٍ. وَأَنَّ الْإِجْمَالَ فِي الطَّلَبِ مَقْرُونٌ بِالْبَرَكَةِ.

الحديث السابع عشر

الرفق بالمتعلم

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، قال: قام أعرابي فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاولَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ وَهَرِّقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ دَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُكُمْ مُبَشِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»^١.

التعريف براوي الحديث:

أبي هريرة تقدمت ترجمته في الحديث السادس.

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

قَامَ أَعْرَابِيٌّ: أي رجل واحد من الأعراب، و الأعراب بالفتح، أهل البدو من العرب أو العجم ، واحدهم أعرابي، بالفتح أيضا، وهو الذي يكون صاحب نُجعة وارتياح للكأ. فالأعرابي يقابل الحضري ، والعربي يقابل العجمي ، واختلف في اسم هذا الأعرابي: فقليل: حُرْقُوص بن زُهَيْر ذو الخويصرة التميمي، وقيل: عُيَيْنَةُ بن حِصْن الفزاري، وقيل: الأقرع بن حابس التميمي، فالله أعلم.

فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ: أي المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، ف (أل) هنا للعهد الذهني.

فَتَنَاولَهُ النَّاسُ: أي أصابوا منه الوقعة يعني بالزجر واللوم ، يقال: نال فلان من فلان: أي أصاب منه الوقعة، يعني أنهم وقعوا فيه، والمراد تناوله

^١ - صحيح البخاري: كِتَابُ الْوُضُوءِ، بَابُ صَبِّ الْمَاءِ عَلَى الْبَوْلِ فِي الْمَسْجِدِ، ج ١/ ص

بالسنتهم، لا بأيديهم، وفي رواية: فقام عليه بعض القوم، وفي أخرى: فصاح به الناس، والمراد بعض الناس من الصحابة الذين كانوا بالمسجد.
دَعُوهُ: أي اتركوه لا تقطعوا عليه بوله. وفي رواية ولا تزرموه والمعنى واحد.

وَهَرِيقُوا: أي صبوا على مكان بوله، وأصله أريقوا، أمرًا من أراق يُريق إذا صب.

سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ دَنُوبًا مِنْ مَاءٍ: السجل بفتح السين وسكون الجيم الدلو العظيمة ، والذنوب بفتح الذال وضم النون الدلو المملوءة ماء، ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب.

فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَشِّرِينَ: أي بعث نبيكم على حذف مضاف، قاله السندي، وقال السيوطي: إسناد البعث إليهم على طريق المجاز؛ لأنه ﷺ هو المبعوث بما ذكر، لكنهم لما كانوا في مقام التبليغ في حضوره وغيبته أطلق عليهم ذلك، أو هُم يبعثون من قبله بذلك مأمورون، وكان ذلك شأنه ﷺ في حق كل من بعثه إلى جهة من الجهات يقول: "يسروا ولا تعسروا" وقال السندي: ويحتمل أن يكون إشارةً إلى قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} فيكون ذلك بمنزلة البعث.

وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ: هذه الجملة تأكيد لما قبلها دلالة على أن الأمر مبني على اليسر قطعاً. يعني أن أمر الشريعة ميسر، لا يتطرق إليه عسر بوجه من الوجوه.

المعنى العام للحديث:

انتشر الإسلام في البدو والحضر، وسطع نوره في طرق المدينة وشعاب الصحارى، وغزا شغاف القلوب الهينة اللينة، والقلوب القاسية الجافية، كان الأعراب خلف أغنامهم يسمعون به فيؤمنون، ثم ينتهزون فرصة قربهم من المدينة فينزلون إليها، ويقصدون مسجدها لينعموا برؤية رسول الإسلام ﷺ

ومشافهته، ومن هؤلاء الأعراب الجفاة ذو الخويصرة اليماني دخل المسجد النبوي ورسول الله ﷺ يحدث أصحابه، فسلم، ثم صلى، ثم قال بصوت جهوري: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا، فقال له النبي ﷺ: لقد حجرت واسعا، بل قل: اللهم ارحمني ومحمدا والمسلمين. ثم قام ذو الخويصرة، فانتحى ناحية من المسجد، وفي زاوية من زواياه وقف يبول، ورآه الصحابة فثارت ثائرتهم، وصاحوا: مه. مه. اكفف. اكفف. به. به. توقف. توقف، وثاروا عليه، واتجهوا نحوه يزجرونه ويردعونه، فناداهم رسول الرحمة. تعالوا. دعوه. دعوه. لا تقطعوا عليه بوله. دعوه فليكمل. إنه جاهل بالحكم. إنه لا يقصد إساءة للمسجد، إنه يظن أن المكان الذي هو فيه كبقية أماكن الصحراء، إنه يظن أنه متى بعد عن الناس تبول كيف شاء. قدروا ظروف الرجل، فقد بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، يسروا ولا تعسروا، وتحملوا أخف الضررين، تنجس المكان وانتهى الأمر، وقطعكم لبوله سيحدث به ضررا، وسيلوث بدنه وثوبه وأماكن أخرى من المسجد. قالوا: فما العمل يا رسول الله؟ فقال: ائتوني بدلو كبير مملوء ماء فجاءوا به فقال: صبوه على مكان بوله، شيئا فشيئا تطهر الأرض، ثم دعا الرجل وبغاية الرفق ومنتهى اللين قال له: إن هذه المساجد لا يليق بها البول والقذر فقد خصصت لذكر الله والصلاة. قال: أحسنت يا رسول الله، وجزاك الله خيرا. بأبي أنت وأمي. لن أعود لمثلها أبدا.

فقه الحديث:

في الحديث مسائل منها:

(١) أن الماء إذا غلب على النجاسة، ولم يظهر فيه شيء منها فقد طهرها، وأنه لا يضر مازجة الماء لها إذا غلب عليها، سواء كان الماء قليلاً، أو كثيراً.

واختلف العلماء في ذلك، فذهب مالك في رواية المدنيين عنه: أن الماء الذي تحله النجاسة إذا لم يتغير طعمه، أو لونه، أو ريحه، فهو طاهر، قليلاً كان الماء، أو كثيراً، وبه قال النخعي، والحسن، وابن المسيب، وربيعه، وابن شهاب، وفقهاء المدينة.

وذهب الكوفيون إلى أن النجاسة تفسد قليل الماء وكثيره، إلا الماء المستبخر الكثير الذي لا يقدر أحد على تحريك جميعه قياساً على البحر الذي قال فيه رسول الله ﷺ هو الطهور ماؤه الحل ميتته.

وذهب الشافعي إلى أن الماء إن كان دون قلتين نجس، وإن لم يتغير، وإن كان قلتين فصاعداً لم ينجس إلا بالتغير، وبه قال أحمد، وإسحاق.

ولابن القاسم عن مالك: أن قليل النجاسة يُفسد قليل الماء، وإن لم تغيّر، ولم يعتبر القلتين. وحديث بول الأعرابي في المسجد يرد حديث القلتين، لأن الدلو أقل من القلتين، وقد طهر موضع بول الأعرابي، ويرد أيضاً على أبي حنيفة أصله في اعتباره الماء المستبخر.

وقال النسائي: لا يثبت في انتجاس الماء إلا حديث بول الأعرابي في المسجد، إلا أن أصحاب الشافعي لما لزمتهم الحجة به فزعوا إلى التفريق بين ورود الماء على النجاسة، وبين ورود النجاسة على الماء، فراعوا في ورودها عليه مقدار القلتين، ولم يراعوا في وروده عليها ذلك المقدار.

(٢) وفيه أن الأرض تطهر بصب الماء عليها، ولا يشترط حفرها، خلافاً للحنفية، حيث قالوا: لا تطهير إلا بحفرها، كذا أطلق النووي وغيره، والمذكور في كتب الحنفية التفصيل بين ما إذا كانت رخوة بحيث يتخللها الماء حتى يغمرها، فهذه لا تحتاج إلى حفر، وبين ما إذا كانت صلبة، فلا بد من حفرها وإلقاء التراب؛ لأن الماء لم يَغْمُر أعلاها وأسفلها.

(٣) واستدل بالحديث أيضاً على نجاسة بول الآدمي، قال النووي رحمه الله: وهو مجمع عليه، بإجماع من يعتد به، ولا فرق بين الكبير والصغير،

إلا أن بول الصغير يكفي فيه النضح، ولم يخالف في بول الصبي إلا داود الظاهري.

ما يستفاد من الحديث:

- ١- أن الاحتراز من النجاسة كان مقررا في نفوس الصحابة ولهذا بادروا إلى الإنكار بحضرة ﷺ قبل استئذانه، ولما تقرر عندهم أيضا من طلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٢- وفيه المبادرة إلى إزالة المفسد عند زوال المانع، لأمرهم عند فراغه بصب الماء.
- ٣- وفيه تعيين الماء لإزالة النجاسة، لأن الجفاف بالريح، أو الشمس، لو كان يكفي لما حصل التكليف بطلب الدلو.
- ٤- وفيه الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف، إذا لم يكن ذلك منه عنادا، ولا سيما إذا كان ممن يحتاج إلى استئلافه.
- ٥- وفيه رافة النبي ﷺ وحسن خلقه، قال ابن ماجه وابن حبان في حديث أبي هريرة فقال الأعرابي بعد أن فقه في الإسلام: فقام إلي النبي ﷺ بأبي وأمي فلم يُؤْتَبْ ولم يُسَبَّ.
- ٦- وفيه تعظيم المسجد وتنزيهه عن الأقدار.

الحديث الثامن عشر

تربية الأطفال على طاعة الله والصلاة

أخرج أبو داود في سننه كتاب الصلاة ، بَابُ مَتَى يُؤْمَرُ الْغُلَامُ بِالصَّلَاةِ. من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا ، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ.

وأخرجه الترمذي في جامعه : أَبْوَابُ الصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بَابُ مَا جَاءَ مَتَى يُؤْمَرُ الصَّبِيُّ بِالصَّلَاةِ مِنْ حَدِيثِ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه : قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ. (١)

التعريف بالراوي الأعلى للحديث:

** عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم السَّهْمِيُّ الْقُرَشِيُّ ، أبو محمد ، وقيل أبو عبد الرحمن ، وقيل أبو نُصَيْر .
قيل كان اسمه العاص فلما أسلم سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ عبد الله .
ولم يكن بينه وبين أبيه في السن سوى إحدى عشرة سنة .
أسلم قبل أبيه ، وهاجر معه قبل الفتح .
روى عن : النَّبِيِّ ﷺ وعن أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم ،
وعنه : أنس ابن مالك ، وسعيد بن المسيَّب ، وجُبَيْر بن نُفَيْر ، ويونس بن مَيْسَرَةَ بن حَلْبَس ، وجماعة .

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِهِ وَاللَّفْظُ لِأَبِي دَاوُدَ ، وَرَوَاهُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ خُرَيْمَةَ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِهِ بِدُونِ (وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَن ، وَقَالَ الْحَاكِمُ وَالتَّبَاهِيُّ : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِم .

وكان صَوَّاماً قَوَّاماً تالياً لكتاب الله غزير العلم ، كتب عن النبي ﷺ علماً كثيراً ، وكان يعترف له أبو هريرة بالإكثار من العلم فقال: " فإنه كان يكتب عن النبي ﷺ وكنت لا أكتب " ، وهو أحد العبادة الفقهاء ، وكان أصاب جملة من كتب أهل الكتاب وأدمن النظر فيها ورأى فيها عجائب ، وقد خَلَّف له أبوه أموالاً عظيمة ، وكان له عبيد وخدم ، وله بستان بالطائف يسمى الوَهْط قيمته ألف ألف درهم.

ومسنده سبعمائة حديث اتفقا على سبعة عشر وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين. مات بالطائف في ذي الحجة سنة ثلاث وستين على الأصح (١) .

** سَبْرَةُ بْنُ مَعْبُدٍ بْنُ عَوْسَجَةَ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ سَبْرَةَ بْنِ خَدِيجِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ بْنِ ذُهْلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ رِفَاعَةَ ابْنِ نَصْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ رِشْدَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ جُهَيْنَةَ.

له صحبة ، وأول مشاهده الخندق ، وكان ينزل المروة ومات بها في خلافة معاوية ، وقد علق له البخاري وروى له مسلم وأصحاب السنن. (٢)

(١) يُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ فِي: والاستيعاب ٣/ ٩٥٦ ، وأسد الغابة ٣/ ٣٥٦ ، والإصابة ٤/ ١٩٢ .

(٢) ينظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٢٦) ، وأسد الغابة ٢/ ٣٨٩ ، والاستيعاب ٢/ ١٤٦ ، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ٣/ ١٤١٧

(معاني المفردات)

قوله : (عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ) : قال العلقي في شرح الجامع الصغير : بأن يعلموهم ما تحتاج إليه الصلاة من شروط وأركان ، وأن يأمرهم بفعلها بعد التعليم ، وأجرة التعليم في مال الصبي إن كان له مال وإلا فعلى الولي . (ابن سبغ سنيّن) حال من الصبي وهكذا (ابن عشرة) .

(واضربوه عليها) أي على تركها ، والضمير يرجع إلى الصلاة . (ابن عشر) قال العلقي : إنما أمر بالضرب لعشر لأنه حد يتحمل فيه الضرب غالباً ، والمراد بالضرب : ضرباً غير مبرح وأن يتقي الوجه في الضرب.

قوله : " وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَصَاحِعِ " أي : في المراقد؛ وذلك لأنهم إذا بلغوا إلى عشر سنين يقربون من أدنى حد البلوغ، وينتشر عليهم آلاتهم، فيخاف عليهم من الفساد.

(المعني العام للحديث)

أورد أبو داود رحمه الله هذه الترجمة، [باب متى يُؤمّر الغلام بالصلاة؟] والمقصود من ذلك: الوقت الذي يؤمر فيه الصغير بالصلاة، ولا فرق بين الذكر والأنثى، فإن ذكر الصبي أو ذكر الغلام ليس معناه اختصاص الأمر بالذكور دون الإناث، وإنما المقصود من ذلك الأولاد، ولهذا جاء قوله (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ) والأولاد لفظ يشمل الذكور والإناث.

والمقصود من قوله: [متى يُؤمّر الغلام بالصلاة] يعني: متى يتمرن وحتى يتعود وحتى يكون على علم بالصلاة وكيفيةها، وما هو مطلوب فيها وما مطلوب لها، وما يتعلق بشروطها وأركانها والأمور التي يكون بها أداؤها، حتى إذا جاء سن التكليف يكون على علم سابق بما هو مكلف به، لا أن يُترك حتى يبلغ ثم يُعلّم ويمرن، وإنما يمرن قبل أن يبلغ، يمرن وهو صغير، لكن متى؟ هل يؤمر وهو صغير جداً أم أن هناك حداً جاء أمر الآباء

والأمهات بأن يأمرُوا عنده أبناءهم أو أولادهم بالصلاة؟ وردت الأحاديث في ذلك عن رسول الله ﷺ بأنه يؤمر وهو ابن سبع، فإذا بلغ سبعا فإنه يأمره أبوه وأمه بالصلاة.

وفى هذا الحديث الشريف يوجهنا الحبيب ﷺ إلى أمر فى غاية الأهمية يتعلق بركن عظيم من أركان الإسلام ألا وهو الصلاة ، فقال ﷺ (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ)، أي: علموا الولد الصلاة وهو ابن سبع سنين، وكونك تعلمه وهو ابن سنتين لا شيء فيه، لكن ليس في المسجد بل فى المنزل؛ لأنه ما زال صغيراً لا يفهم، وقد يؤذى الناس في بيت الله سبحانه، فيتعلم الطفل الصغير الذي عمره سبع سنين الصلاة بأركانها وشروطها، ويُعلم كيف يتوضأ ويتطهر للصلاة، ويُؤمر بالصلاة، ويصطحبه والده إلى المسجد ليتعلم مع الناس، ويحترم بيت الله سبحانه وتعالى.

وقد قال فى الرواية الأولى: (مروا أولادكم)، وقال فى الرواية الثانية: (علموا)، لأننا إذا أمرنا الأبناء بالصلاة فقط دون تعليمهم الكيفية ، فقد يصلى الصلاة أربع ركعات أو خمس ركعات؛ لأنه لا يدرى كيف يصلى؛ ولذلك قال فى الرواية الثانية : (علموا الصبي) أي: تعلمه الصلاة، تسأله: هل تعرف كيف تصلى أو لا تعرف؟ تعال فأرني كيف تصلى، هل تحفظ الفاتحة أو لا تحفظها؟ اقرأ على الفاتحة، وقد يوجد أناس كبار فى السن لا يحفظون الفاتحة، فهؤلاء يعلمون دون إحراج.

إن النبي ﷺ يحفزنا أن نربي أولادنا على طاعة الله وحسن عبادته فإذا أصبح الطفل يفهم ويميز الخطأ من الصواب، الطيب من الخبيث فعلى أن نعلمه كيف يصلى، وكيف يتوضأ، فإذا نشأ وشب وبلغ كان قد تعلم كيف يصلى وكيف يخاف من الله رب العالمين، فلا يزال على الخير، عابداً لربه سبحانه، خائفاً منه ﷻ؛ لأنه نشأ على حب الحلال، وعلى الخوف من

الحرام، وعلى مراقبة الله سبحانه وتعالى، وعلى طاعة الله وعبادته، فهذا يظله الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

يقول الله تعالى مخاطباً عباده: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، فالمسلم يقي نفسه وأولاده وأهله هذه النار يوم القيامة، وقيهم حر الشمس في ذلك اليوم الطويل العظيم، فينشئ أولاده على الفضيلة وعلى طاعة الله ﷻ، وينشئ بناته على حب الله ﷻ، وعلى الحجاب الشرعي، وعلى طاعة الله سبحانه.

كما أرشدنا ﷺ إلى كيفية التعامل مع الأبناء إذا تكاسلوا عن الصلاة بعد بلوغهم العاشرة بقوله (وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ)، أي: إذا بلغ الطفل عشر سنين وتكاسل عن الصلاة فاضربه ضرباً غير مبرح، مع أنه غير مكلف، لكن مع ذلك إن تكاسل عن الصلاة فإنه يُضرب، من أجل أن يحافظ على الصلاة، بحيث يبلغ هذا الصبي وهو يعرف الصلاة ويعرف أحكامها، من الوضوء، والطهارة والشروط والأركان، والواجبات والنوافل والهيئات، فيتقن هذه الصلوات، ولا تحتاج بعد ذلك لا لضرب ولا غيره.

وإذا كنا مأمورون بتعليم الصبيان فإن تعليم الكبير من باب أولى، فقد جاء في الصحيحين من حديث سهل بن سعد ؓ أن النبي ﷺ قال : (...فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَّكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ).

ثم أشار ﷺ إلى أدب رفيع من آداب الإسلام يعمل على عصمة الأبناء من الوقوع في براثن الشيطان فقال : (وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) أي: نفرق بين الذكور والإناث، لا تنام البنت بجانب الولد الذي عمره عشر سنين، بل يفرق بين الجميع، كل واحد في سريره عند مرحلة البلوغ أو قبيل البلوغ؛ يعتقد الولد أنه لا يطلع على العورات أو لا ينظر إلى ما يحرم. والمعنى: أنهم لا يضطجع بعضهم مع بعض؛ حتى لا يحصل شيء من دواعي الشر أو شيء من الشيطان بحيث يحرك بعضهم على بعض، فلا يكون هناك اضطجاع من

بعضهم مع بعضهم، وإنما يكون هناك تفريق، سواء أكانوا ذكوراً وإناثاً أم ذكراً فقط أم إناثاً فقط؛ لأنه عندما يحصل التقارب يحصل بسببه شيء من تحريك الشهوة أو الفتنة أو ما إلى ذلك، فجاءت السنة بأن يمرنوا على ذلك، وأن يعودوا على ذلك وهم صغار، بحيث يبتعد بعضهم عن بعض، ولا يكون هناك تلاصق وتقارب بحيث يحصل معه شيء لا تحمد عقباه. (١)

(فقه الحديث)

المسألة الأولى: ما يُطلب من الصغار قبل البلوغ؟

يطلب من الصغار قبل البلوغ ما يلي: الصلاة، والصوم، ويفرق بينهم في المضاجع، فيؤمرون بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، ويضربون عليها وهم أبناء عشر، ويدربون على الطاعات ليعتادوها ويحبوها ويألفوها منذ الصغر، ويفرق بين الذكور والإناث عند النوم.

المسألة الثانية: تعليم الصغار.

عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَسَائِرِ الْأَوْلِيَاءِ تَعْلِيمُ الصَّغَارِ مَا يَلْزَمُهُمْ بَعْدَ الْبُلُوغِ، فَيُعَلِّمُ الصَّغِيرَ مَا تَصَحُّ بِهِ عَقِيدَتُهُ مِنْ إِيْمَانٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا تَصَحُّ بِهِ عِبَادَتُهُ، وَيُعَرِّفُهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَطَهَارَتِهِ وَنَحْوِهَا، وَذَلِكَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) وَيُعَرِّفُهُ تَحْرِيمَ الزَّانَا وَاللَّوَاطِ وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْمُسْكِرِ وَالْكَذِبِ وَالْغِيْبَةِ وَشَبَّهَهَا، كَمَا يُعَلِّمُ أَنَّه بِالْبُلُوغِ يَدْخُلُ فِي التَّكْلِيفِ، وَيُعَرِّفُ مَا يَبْلُغُ بِهِ.

(١) ينظر شرح الحديث في: معالم السنن للخطابي ١/١٤٩ ، و تحفة الأحوزي (٢/ ٣٦٩) ، وشرح أبي داود للعيني (٢/ ٤١٦) ، وشرح رياض الصالحين - حطبية (١٢/ ١٣) ، وشرح سنن أبي داود للعباد (٦٩/ ٦) ، و شرح الترغيب والترهيب للمنذرى - حطبية (٣/ ٥) وموسوعة الفقه الإسلامي (٢/ ٤١٦) .

وقيل هذا التعلیم مُستَحَبٌّ، ونَقَلَ الرَّافِعِيُّ عَنِ الْأَئِمَّةِ وَجُوبَهُ عَلَى الْآبَاءِ
وَالْأُمَّهَاتِ، وهذا ما صَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ فِي الْمَجْمُوع .

وذليل وَجُوبِ تَعْلِيمِ الصَّغِيرِ :

قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} . قَالَ عَلِيُّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ : مَعْنَاهُ : عِلْمُوهُمْ مَا يَنْجُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ "
وهذا ظاهرٌ .

وَنَبَّتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
أَنَّهُ قَالَ : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ :
إِنَّ الصَّبِيَّ أَمَانَةٌ عِنْدَ الدِّيَةِ، وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ سَادَجَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ
كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَةٍ، وَهُوَ قَابِلٌ لِكُلِّ نَقْشٍ، وَقَابِلٌ لِكُلِّ مَا يُمَالُ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِنْ عَوَّدَ
الْخَيْرَ وَعَلَّمَهُ نَشْأً عَلَيْهِ وَسَعَدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يُشَارِكُهُ فِي ثَوَابِهِ أَبَوَاهُ وَكُلُّ
مُعَلِّمٍ لَهُ وَمُؤَدِّبٍ، وَإِنْ عَوَّدَ الشَّرَّ وَأَهْمَلَ شَقِيَّ وَهَلَكَ، وَكَانَ الْوِزْرُ فِي رَقَبَتِهِ
الْقَتِيمِ بِهِ وَالْوَلِيَّ عَلَيْهِ . وَمَهْمَا كَانَ الْأَبُ يَصُونُ وَلَدَهُ مِنَ النَّارِ الدُّنْيَا فَيَنْبَغِي
أَنْ يَصُونَهُ مِنَ نَارِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ أَوْلَى، وَصِيَانَتُهُ بِأَنْ يُؤَدِّبَهُ وَيَهْدِيَهُ وَيُعَلِّمَهُ
مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ، وَيَحْفَظَهُ مِنْ قُرْآنِ السَّوِّءِ، وَلَا يُعَوِّدَهُ التَّنَعُّمَ، وَلَا يُحَبِّبَ إِلَيْهِ
الرَّيْبَةَ وَأَسْبَابَ الرِّفَافَةِ فَيُضَيِّعَ عُمُرَهُ فِي طَلَبِهَا إِذَا كَبُرَ وَيَهْلِكُ هَلَاكٌ الْأَبَدِ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعَلِّمَهُ أَيْضًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ : السِّبَاحَةِ
وَالرِّمِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْفَعُهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ بِحَسَبِهِ . قَالَ عُمَرُ ﷺ : عِلِّمُوا
أَوْلَادَكُمْ السِّبَاحَةَ وَالرِّمَايَةَ، وَمُرُوهُمْ فَلْيَثْبُتُوا عَلَى الْخَيْلِ وَثَبًا . (١)

المسألة الثالثة : علام يدل قوله ﷺ (وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ) ؟

قال الخطابي: يدل على إغلاظ العقوبة له إذا تركها مدركاً ، قال: إذا
استحق الصبي الضرب وهو غير بالغ فقد عقل أنه بعد البلوغ يستحق من

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٣ / ١١)

العقوبة ما هو أشد من الضرب وليس بعد الضرب شيء مما قاله العلماء
أشد من القتل).

المسألة الرابعة : هل تجب الصلاة على الصبي ؟

لَا خِلَافَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي أَنَّ الْبُلُوغَ شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ وُجُوبِ الصَّلَاةِ، فَلَا
تَجِبُ الصَّلَاةُ عَلَى الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ ؛ وَلَئِنَّهَا عِبَادَةٌ بَدَنِيَّةٌ، فَلَمْ تَلْزَمْهُ
كَالْحَجِّ، لَكِنْ عَلَى وَلِيِّهِ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سَنَوَاتٍ، وَيَضْرِبُهُ عَلَى
تَرْكِهَا إِذَا بَلَغَ عَشَرَ سَنَوَاتٍ ؛ لِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ
عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ " .

وَقَدْ حَمَلَ جُمُهُورُ الْفُقَهَاءِ - الْحَنْفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ - الْأَمْرَ فِي
الْحَدِيثِ عَلَى الْوُجُوبِ، وَحَمَلَهُ الْمَالِكِيَّةُ عَلَى النَّدْبِ .

وَقَدْ صَرَّحَ الْحَنْفِيَّةُ بِأَنَّ الضَّرْبَ يَكُونُ بِالْيَدِ لَا بِغَيْرِهَا كَالْعَصَا وَالسَّوْطِ، وَأَنَّ
لَا يُجَاوِزُ الثَّلَاثَ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِمِرْدَاسِ الْمُعَلِّمِ : إِيَّاكَ أَنْ تَضْرِبَ فَوْقَ
ثَلَاثٍ، فَإِنَّكَ إِذَا ضَرَبْتَ فَوْقَ الثَّلَاثِ اقْتَصَّ اللَّهُ مِنْكَ .

وَيُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ الْمَالِكِيَّةِ جَوَازُهُ بِغَيْرِ الْيَدِ، قَالَ الشَّيْخُ الدُّسُوقِيُّ : وَلَا يُحَدِّثُ
بِعَدَدٍ كَثَلَاثَةٍ أَسْوَاطٍ بَلْ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ حَالِ الصَّبِيَّانِ .

وَمَحَلُّ الضَّرْبِ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ إِنْ ظَنَّ إِفَادَتَهُ، قَالُوا : الضَّرْبُ يَكُونُ مُؤَلِّمًا
غَيْرَ مُبْرِحٍ إِنْ ظَنَّ إِفَادَتَهُ وَالْأَفْلَا .

وَقَدْ ذَهَبَ الْحَنْفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى أَنَّ وُجُوبَ الْأَمْرِ بِهَا يَكُونُ بَعْدَ اسْتِكْمَالِ
السَّبْعِ وَالْأَمْرَ بِالضَّرْبِ يَكُونُ بَعْدَ الْعَشْرِ بِأَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِي أَوَّلِ الثَّامِنَةِ
وَبِالضَّرْبِ فِي أَوَّلِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ .

وَقَالَ الْمَالِكِيَّةُ : يَكُونُ الْأَمْرُ عِنْدَ الدُّخُولِ فِي السَّبْعِ وَالضَّرْبُ عِنْدَ الدُّخُولِ
فِي الْعَشْرِ .

وقال الشافعية : يُضْرَبُ فِي أَثْنَاءِ الْعَشْرِ ، وَلَوْ عَقِبَ اسْتِكْمَالِ التَّسْعِ . قال
الشَّيرَازِيُّ الْخَطِيبُ : وَصَحَّحَهُ الْإِسْنَوِيُّ ، وَجَزَمَ بِهِ ابْنُ الْمُقَرِّي ، وَيَنْبَغِي
اعْتِمَادُهُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَظْنَةُ الْبُلُوغِ . وَأَمَّا الْأَمْرُ بِهَا فَلَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ
السَّعِ (١)

المسألة الخامسة : حكم الصلاة التي يتركها الولد بعد العشر سنين :
قال أَحْمَدُ ، وَإِسْحَاقُ : (مَا تَرَكَ الْغُلَامُ بَعْدَ الْعَشْرِ مِنَ الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يُعِيدُ .)

المسألة السادسة : ما حكم تارك الصلاة ؟
اختلف العلماء في حكم تارك الصلاة :
فقال مالك والشافعي : يقتل تارك الصلاة .
وقال مكحول : يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، وإليه ذهب حماد بن يزيد
ووكيع بن الجراح .

وقال أبو حنيفة : لا يُقْتَلُ وَلَكِنْ يَضْرَبُ وَيَحْبَسُ .
وعن الزهري أنه قال : فاسق يضرب ضرباً مبرحاً ويسجن .
وقال جماعة من العلماء : تارك الصلاة حتى يخرج وقتها لغير عذر
كافر ، وهذا قول إبراهيم النخعي وأيوب السخيتاني وعبد الله بن المبارك وأحمد
بن حنبل وإسحاق بن راهويه .
وقال أحمد : لا يكفر أحد بذنب إلا تارك الصلاة عمداً .

واحتجوا بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ (ليس بين العبد وبين
الكفر إلا ترك الصلاة) .

المسألة السابعة: مُضَاجَعَةُ الصِّبْيَانِ الصِّبْيَانِ ، وَمُضَاجَعَةُ الصِّبْيَانِ الْكِبَارِ :
ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الصِّبْيَانِ فِي الْمَضَاجِعِ
وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ ، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السلام : وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَهُمْ

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٧ / ٥٨)

أَبْنَاءُ عَشْرِ ، وَقِيلَ : لِسَبْعٍ ، وَقِيلَ : لَيْسَتْ ، سَوَاءٌ كَانَ بَيْنَ أَخَوَيْنِ أَوْ أُخْتَيْنِ ،
أَوْ أَخٍ وَأُخْتٍ ، أَوْ بَيْنَهُ ، وَبَيْنَ أُمِّهِ وَأَبِيهِ .

وَذَهَبَ الْمَالِكِيُّ فِي الرَّاجِحِ عِنْدَهُمْ إِلَى أَنَّ التَّفْرِقَةَ بَيْنَ الصَّبْيَانِ مَدْنُوبَةٌ
عِنْدَ الْعَشْرِ ، وَالْأَقْوَى عِنْدَهُمْ فِي مَعْنَى التَّفْرِقَةِ : أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ
ثَوْبٌ ، بَلْ فِرَاشٌ مُسْتَقِلٌّ : غِطَاءٌ وَوِطَاءٌ .

وَفِي قَوْلٍ آخَرَ : تَحْصُلُ التَّفْرِقَةُ وَلَوْ بِثَوْبٍ حَائِلٍ بَيْنَهُمَا .
وَأَمَّا إِنْ لَمْ يَبْلُغُوا الْعَشَرَ فَلَا حَرَجَ ، لِأَنَّ طَلَبَ الْوَلِيِّ بِالتَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْأَوْلَادِ فِي
الْمُضَاجَعِ بَعْدَ بُلُوغِ الْعَشْرِ عَلَى الْمُعْتَمَدِ .

(مُضَاجَعَةُ الصَّبْيَانِ الْكِبَارِ)

- نَصَّ الْحَنْفِيُّ عَلَى أَنَّهُ يُفَرَّقُ بَيْنَ الصَّبْيَانِ وَبَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي
الْمُضَاجَعِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَدْعُو إِلَى الْفِتْنَةِ وَلَوْ بَعْدَ حَيْنٍ .

وَذَكَرَ ابْنُ عَابِدِينَ : إِذَا بَلَغَ الصَّبِيُّ عَشْرًا لَا يَنَامُ مَعَ أُمِّهِ وَأُخْتِهِ ، وَامْرَأَةً
إِلَّا أَمْرَأَتَهُ ، وَهَذَا خَوْفًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْذُورِ ، فَإِنَّ الْوَلَدَ إِذَا بَلَغَ عَشْرًا عَقَلَ
الْجَمَاعَ ، وَلَا دِيَانَةَ لَهُ تَرُدُّهُ ، فَرُبَّمَا وَقَعَ عَلَى أُخْتِهِ أَوْ أُمِّهِ ، فَإِنَّ النَّوْمَ وَقْتَ
رَاحَةٍ ، مُهَيِّجٌ لِلشَّهْوَةِ ، وَتَرْتَفِعُ فِيهِ الثِّيَابُ عَنِ الْعَوْرَةِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، فَيُؤَدِّي
إِلَى الْمَحْذُورِ ، وَإِلَى الْمُضَاجَعَةِ الْمُحَرَّمََةِ .

وَكَذَلِكَ لَا يُتْرَكُ الصَّبِيُّ يَنَامُ مَعَ وَالِدِيهِ فِي فِرَاشِهِمَا ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا يَطْلُعُ عَلَى مَا
يَقَعُ بَيْنَهُمَا ، بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ نَائِمًا وَحْدَهُ ، أَوْ مَعَ أَبِيهِ وَحْدَهُ ، أَوْ الْبِنْتُ مَعَ
أُمِّهَا وَحْدَهَا .

وَلَا يُتْرَكُ أَيْضًا أَنْ يَنَامَ مَعَ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ أَجَنَّبَيْنِ خَوْفًا مِنَ الْفِتْنَةِ ، وَلَا
سِيَّمَا إِذَا كَانَ صَبِيحًا ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَحْصُلْ فِي تِلْكَ النَّوْمَةِ شَيْءٌ ، فَيَتَعَلَّقُ بِهِ
قَلْبُ الرَّجُلِ أَوْ الْمَرْأَةِ ، فَتَحْصُلُ الْفِتْنَةُ بَعْدَ حَيْنٍ ، وَمَنْ لَمْ يَحْتِطْ فِي الْأُمُورِ يَقَعُ
فِي الْمَحْذُورِ .

وقال المالكيَّة: إِنْ تَلَاَصَقَ بَالِغٌ وَغَيْرُ بَالِغٍ بِغَيْرِ حَائِلٍ فَحَرَامٌ فِي حَقِّ
البالغ، مكروهٌ فِي حَقِّ غَيْرِهِ، وَالكَرَاهَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِوَلِيِّهِ، وَأَمَّا بِحَائِلٍ فَمَكْرُوهٌ فِي
حَقِّ البَالِغِ إِلَّا لِقَصْدِ لَذَّةٍ فَحَرَامٌ.

وَأَمَّا رَجُلٌ وَأُنْثَى فَلَا شَكَّ فِي حُرْمَةِ تَلَاَصُقِهِمَا تَحْتَ لِحَافٍ وَاحِدٍ وَلَوْ بِغَيْرِ
عَوْرَةٍ، وَلَوْ مِنْ فَوْقِ حَائِلٍ ، لِأَنَّ الرَّجُلَ لَا يَجِلُّ لَهُ الْإِخْتِلَاطُ بِالْأُنْثَى، فَضْلاً
عَنْ تَلَاَصُقِهِمَا ^(١)

(ما يرشد إليه الحديث)

- ١ . تحفيز الآباء على تربية الأولاد على طاعة الله وحسن عبادته .
- ٢ . تعليم الأبناء كيفية الصلاة في الصغر لتعويدهم عليها .
- ٣ . استخدام أسلوب الثواب والعقاب في التعامل مع الأبناء أمر ضروري .
- ٤ . إعادة الصلاة الفائتة إذا أهملها الولد بعد بلوغه عشر سنين على رأى بعض العلماء .
- ٥ . التفريق بين الأبناء ذكوراً كانوا أو إناثاً في المضاجع .

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٨ / ٣٣)

رؤية الجامعة

تتطلع جامعة الأزهر باعتبارها من أقدم جامعات العالم إلى تعزيز دورها الرائد عالمياً في تقديم الفكر الإسلامي الصحيح القائم على الوسطية، والتميز في ميدان التعليم الجامعي والبحث العلمي، وبناء الشخصية الإسلامية المعتدلة والبناءة بما يسهم في تطوير الحضارات الإنسانية.

رسالة الجامعة

- تحرص جامعة الأزهر على تقديم برامج أكاديمية تتفق مع المعايير الإقليمية والعالمية وتقوم على تطوير البحث العلمي بما يجمع بين دراسة التراث الإسلامي والإنساني ومستحدثات علوم العصر وتطبيقاته، محتفظة بخصوصيتها في الجمع بين الأصالة والمعاصرة. وتعمل الجامعة على:
١. تقديم رسالة الإسلام القائمة على الوسطية والاعتدال، من خلال نشر التراث العربي والإسلامي وثقافة السلم المجتمعي والتعامل مع القضايا المعاصرة ومخاطبة العالم بلغاته المختلفة، ومناهضة الفكر المتطرف من خلال خريجه الملمين بأصول الدعوة الإسلامية القادرين على التواصل محلياً وإقليمياً وعالمياً.
 ٢. ربط برامجها الأكاديمية باحتياجات سوق العمل من خلال خريجها المتخصصين في شتى المجالات، الممتلكين لمهارات استخدام التقنيات الحديثة.
 ٣. توفير مناخ البحث العلمي والتكنولوجي وتقديم الاستشارات المختلفة والإفادة من منجزات العصر الحديث.
 ٤. تقديم الخدمة المجتمعية وتنمية البيئة من خلال نشر الوعي الديني والثقافي والصحي، والانفتاح على الفكر الإنساني والتنمية البشرية في مختلف مجالاتها.
- وحيث إن غاية جامعة الأزهر، أن تكون بنهاية عام ٢٠٢٢ م، نموذجاً للتعليم الجامعي، يحقق فيه الطلاب من مختلف الخلفيات الثقافية نجاحات أكاديمية، ومهنية بمعدلات عالية، فإن الجامعة ستعمل خلال السنوات الخمس القادمة على تحقيق سبع غايات هي:

١. تعزيز مكانة الجامعة محلياً وعالمياً.
٢. التوسع المؤسسي لنشر المعرفة ودعم رسالة الإسلام الوسطية.
٣. تبني المعايير الأكاديمية القومية المرجعية وتفعيل نظم جودة العملية التعليمية.
٤. أعضاء هيئة تدريس ذوي جدارات علمية ومهنية متميزة إقليمياً وعالمياً.
٥. الاهتمام بالبحث العلمي بما يخدم التنمية المستدامة في مصر والعالم.
٦. تنمية وحسن استغلال الموارد المالية والمادية للجامعة.
٧. تطوير الهيكل التنظيمي والجهاز الإداري للجامعة بما يسهم في تحسين جودة الخدمة.

قيمنا الحاكمة

وسطية الإسلام - التواصل مع الحضارات الإنسانية - الطالب محور اهتمامات الجامعة - الانتماء والهوية أحد مرتكزات بناء الشخصية - الالتزام بالأخلاقيات المهنية الجامعية - النزاهة والشفافية وعدم التمييز - التطوير المستمر أساس للتميز - المساواة والمحاسبية.